الفصل الرابع
الملكة إليانور على العرش الإنجليزي

- زواج إليانور من الدوق هنري بلانتاجنت ونتائجه
- الحملات العسكرية للدوق هنري بلانتاجنت ضد مملكة انجلترا وتوليه عرشها
- دور الملكة إليانور في إدارة شئون إنجلترا أثناء غياب زوجها
- صراع الملك هنري مع توماس بيكيت وموقف إليانور منه

الفصل الرابع
الملكة إليانور على عرش إنجلترا

زواج الملكة إليانور من الملك هنري الثاني وتداعياته :

بعد عودة إليانور إلى بواتييه واستئنافها لدورها السابق كدوقة لأكوتين وإلغائها لجميع القرارات التي أصدرتها من قبل بالمشاركة مع لويس أو القرارات التي اتخذها لويس بمفرده، بدأت تستعد لتنظيم شئون حياتها الخاصة وتخطط لتحقيق هدفها الجديد في الزواج من هنري، لكن ولسوء الحظ لا توجد أي وثائق أو أدلة توضح الخطوات التي اتخذتها إليانور من أجل تحقيق هدفها، ما هي الرسائل التي أرسلتها إلى هنري بلانتاجنت وهل هي التي استدعته أولاً أم أنه هو الذي طلب مقابلتها.

إن كل هذه التساؤلات لا توجد إجابة عليها عند المؤرخين وظلت إجابة تلك الأسئلة مجرد تخمين من قبل المؤرخين المعاصرين لها أو الذين جاءوا في القرون اللاحقة[1].

إن السرية التامة التي غلفت زواج إليانور وهنري بلانتاجنت كانت ضرورية وذلك لأن موقف كلاهما كان حساسا وحرجا باعتبارهما أتباعا إقطاعيين تابعين للويس فكان يجب عليهما الحصول على موافقته على زواجهما لأن القانون الإقطاعي ينص على موافقة السيد الأعلى على زواج أي تابع له، وكانت إليانور باعتبارها زوجة سابقة للويس السابع تعرف مدى مشاعر الكراهية التي يكنها لويس لهنري ذلك الشخص الذي فضلته إليانور على الملك لويس، والذي رأت أنه بزواجها منه يمكنها الانتقام من زوجها السابق الذي عاشت معه خمسة عشر عاما في سأم وكراهية فاعتقدت أن بزواجها من هنري سوف توجه ضربة مؤلمة للملك لويس السابع.

لم يكن موافقة لويس على الزواج هي المشكلة بل إن العقبة الرئيسة والخطرة كانت تتمثل في احتمال قيام الملك لويس وجيشه بالهجوم على أكوتين بعد أن يعلم بهذا الزواج، ولذلك ونتيجة للأسباب السالفة أحاطت إليانور إجراءات زواجها بسرية تامة وظلت اتصالات إليانور بهنري موضع تخمين لدى كثير من المؤرخين[2].

وصل هنري وبعضا من رفاقه إلى بواتييه في منتصف مايو عام 1152م وربما كان قدومه بناء على دعوة وجهتها إليه إليانور، وربما يكون وصوله متماشياً مع خطته التي أعدها مسبقا.

وفي يوم الأحد الموافق 18 مايو عام 1152م، وبعد ثمانية أسابيع من طلاق إليانور، تزوجت إليانور من هنري بلانتاجنت.

لم تتم أي مراسم للاحتفال بزواج إليانور وهنري، فلا أبواق ولا رايات ولا أي شئ من ذلك وإنما تم الزواج وسط احتفال بسيط لا يليق بزواج شخصيتين بارزتين مثل إليانور وهنري، وكان الاحتفال سري ومحدود فلم يحضر سوى أقارب وأصدقاء الزوجين.

وبالرغم من السرية التامة التي غلفت زواج إليانور وهنري والذي لم يعرف به سوى أقارب الزوجين، إلا أنه كانت هناك إجراءات وقائية اتخذت للتأكد من شرعية زواجهما،

(1) Meade, Eleanor, P. 150.
(2) Meade, Eleanor, P. 150.

والاطمئنان على أن كلا منهما يحل للآخر ولكن الغريب، أن إليانور كانت أكثر قرابة لهنري من قرابتها للويس السابع فجدهم المشترك كان روبرت الثاني Robert II دوق نورمنديا Normandy وكان من الضروري تحديد مكان العلماء الكنسيين الذين يستطيعوا إصدار الحكم الصحيح حول تلك الزيجة[1].

في الأيام الأولى التي تلت زواج إليانور من هنري اكتشفت إليانور شخصيته الحقيقية، وعلى الرغم من أن اختيارها له كان قائما في البداية على انجذابها له عاطفيا وحاجتها إلى حامي كفؤ لدوقية أكوتين، ورغبتها العميقة في إيذاء لويس كانت هذه هي العوامل الرئيسية في اختيارها العاجل له كزوج، لكنها لم تكن تعرف شخصيته حتى هذه اللحظة، وخلال الأيام التي تلت الزواج، كان لديها فرصة كافية للتعرف على هنري بدقة وعن قرب.

فاكتشفت أنه رجل يجمع بين الكثير من المتناقضات فقد كان على قدر كبير من التعليم الذي تلقاه في بلاط والده وبلاط عمه روبرت إيرل جلوستر Robert Earl golester كما أن والداه ماتيلدة وجيفري برغم عدائهما لبعضهما البعض، إلا أنه وعلى ما يبدو كانا متفقان على ضرورة تعليم هنري بأسلوب يناسبه كملك في المستقبل[2].

تعلم هنري تحت إشراف معلمه ماثيو Mathew رئيس شمامسة جلوستير "كل اللغات التي يتحدث بها الناس من خليج بسكاي إلى الأودز، لكنه استخدم اللغة اللاتينية والفرنسية فقط"[3].

تعلم هنري من والده العادات المألوفة، في ركوب الخيل والمبارزة، وصيد الصقور، تلك الرياضات التي أحبها هنري بعد أن أصبح شابا ناضجا، لم يهمل جيفري تربية ابنه تربية عسكرية، خاصة وأنه كان في حوزة جيفري كتابا عن أساليب الحرب عند الرومان في القرن الرابع الميلادي، وكثيرا ما كان يحمل هذا الكتاب ويقرأه في سريره، إلى جانب غيره من الكتب مما أكسبه معارف عديدة.

امتلأت رأس هنري من حداثته بالحكايات الأسطورية حول أسلافه المشهورين مثل جده الأكبر فولك Fulk الذي هزم جيش البرتون وعمره أربعة عشر عاما، ووالد جده وليام الفاتح William the conqueror الذي استولى على عرش إنجلترا بعد معركة هاستنجز[4]

(1) William of Nowburgh, History, P. 129.
Kelly, Eleanor, P. 81 Owen, Eleanor, P. 32.
Meade, Eleanor, P. 150 FFiona, Eleanor, P. 39.
(2) Meade, Eleanor, P. 150.
(3) Wlater map, De Nugis Curialium, P. 298, FFiona, Eleanor, P. 40.
(4) نتيجة لوفاة الملك إدوارد (1042-1066) ملك إنجلترا في بداية عام 1066م دون أن يترك وريثا على عرش إنجلترا بدأت تظهر أطماع الطامعين في عرش المملكة وعلى رأسهم الدوق وليام دوق نورماندیا والايرل هارولد جدوين Harold Godwine زعيم الأمراء الإنجليز وآخرون غيرهم.
نجح الايرل هارولد في تولي عرش إنجلترا بعد اختيار مجلس الويتان له (مجلس الحكماء) متناسيا بذلك القسم الذي أقسمه لوليام دوق نورمنديا الذي نجح في كسب عطف البابوية في صراعه ضد هارولد الذي اتهمه بحنث اليمين. بدأ وليام يقوم بالاستعداد لغزو انجلترا فأعد قواته وسار بها متجها إلى قرية هاستنج التي تقع جنوب شرق انجلترا والتي استعد فيها هارولد وقواته لملاقاة وليام.
في 14 أكتوبر سنة 1066م/ 21 ذو القعدة 458هـ دارت معركة قوية بين الطرفين انتصر فيها الدوق وليام وقتل الملك الإنجليزي هارولد وكثير من النبلاء الإنجليز . لمزيد من التفاصيل انظر:
Roger of Hovden, Hisoty, Vol, 1, PP. 130 – 139.

Hastenges وأمه ماتيلدة[1] التي هربت من قلعة اكسفورد Oxford وسارت ليلا خلال خطوط ستيفن Steven وسط الموتى المكسوين بالثلج، كما أن هنري قد تم إرساله إلى انجلترا وعمره لا يتجاوز الرابعة عشر لاغتصاب تاج الملك ستيفن لكنه فشل بسبب حاجته للمال لدفع رواتب الجند مما اضطره إلى العودة إلى نورمنديا.

ولعل كل هذه المآثر والملاحم والأساطير والتاريخ قد لقنوها وعلموها للملك هنري مما نمى عنده روح الحرب والقتال.

اعتبر هنري أن الشعراء الجائلين وألعاب الفروسية مضيعة للوقت لكن إليانور وجدت في هنري شخصية مهذبة، فقد علمته والدته كيف يتصرف كرجل محترم، قادر على المجاملة والرقة وأحيانا الطيبة، ويدل على ذلك ما حدث عند خروجه في يوم عاصف وبصحبته رجل دين مشهور[2] يدعى دوم ريرك Domrirc وهو راهب سيسترشياني Cistercian وقد تعثر هذا الراهب وسقط من فوق حصانه، وعصفت الريح بردائه فأزالته وانكشف ظهره، عندئذ نظر هنري بعيدا، وتظاهر بأنه لم ير شيئا.

إضافة إلى التزام هنري بأساليب الأدب والكياسة التي تعلمها من والدته فقد تعلم منها كيف يكون حاكما قويا، فأخذ عنها سياسة التعذيب التي وضعها هنري ليستخدمها في علاقاته مع الأصدقاء – الأعداء والعائلة أما الشئ الآخر الذي حرصت ماتيلدة كل الحرص على تلقينه لابنها كان تحذيرها له بضرورة التغلب على عواطفه ومشاعره فلا يكون فياضا في مشاعره قليل العمل، ومعنى هذا ألا يترك الزمام لمشاعره تتحكم فيه في أي أمر خاص به فإنه إذا فعل ذلك أصبح حاكما ضعيف الشخصية مسلوب الإرادة.

هذا عن صفات هنري الشخصية أما عن صفاته الجثمانية فقد تميز هنري باستقامة عوده ونحافته فكان يخشى البدانة وحتى يتجنبها اتبع أسلوبا غذائيا خاصا إلى جانب الصوم وإرهاق جسده بالتمارين الرياضية العنيفة[3].

لكن أكثر الصفات التي أدهشت معاصريه وفاجأت إليانور كان تمتعه بطاقة حيوية كبيرة، فكان يستيقظ في الصباح الباكر، ونادرا ما كان يجلس إلا إذا امتطى ظهر جواده أو لتناول وجبات الطعام التي كان يتناولها بسرعة، ومما أفزع مواطنيه أنه كان يقوم بكل أعماله وهو واقف، وكان يتحدث ويستمع ويؤدي أعماله كلها في وقت واحد.

كان هنري حريصا على حضور القداس الديني كل يوم لكونه واجبا أكثر من كونه عبادة[4], فكان حريصا على عدم إضاعة وقته كل الحرص ولا يحب إهدار دقيقة دون القيام بعمل مفيد، حتى في ساعات الليل المتأخرة[5].

---

(1) ماتيلدة هي ابنة الملك هنري الأول البكر، كانت قد تزوجت من الإمبراطور هنري الخامس إمبراطور ألمانيا، ومنذ وفاة أخيها وليام بدأ والدها يفكر في وراثة العرش وفكر في تبني أحد أبناء أخته أديلا من أجل هذا الأمر، غير أنه بوفاة الإمبراطور هنري الخامس عام 1126م. أرسل الملك هنري لإحضار ابنته إلى المملكة وأخذ لها البيعة في عيد الميلاد من عام 1127م من الأمراء الإنجليز، وتزوجت في العام التالي من جيفري بلانتجنت ابن كونت أنجو وبعد وفاة والدها دخلت ماتيلده في صراع على عرش إنجلترا مع تسيفن كونت بلو ابن عمتها اديلا. لمزيد من التفاصيل انظر:

Smith, G., Ahisotory of England, New York, 1966, P. 49.

(2) Meade, Eleanor, P. 151.

(3) Meade, Eleanor, PP. 151 – 152.

(4) Kelly, Eleanor, P. 89.

(5) Meade, Eleanor, P. 152.

بعد زواج هنري بأيام قليلة، بدأ يستعد لمغادرة بواتييه والاتجاه إلى انجلترا، لتحقيق هدفه في الاستيلاء على الحكم، فقد رأى أنه ليس هناك حاجة للتلكؤ مع عروسه في حين كان هناك "جزيرة يجب أن تفتح وتاج يجب أن يحصل عليه"[1].

تفهمت إليانور موقف هنري، رغم شعورها بالضيق، فكانت تعلم أن الظروف الطارئة، قد أجبرته على تأجيل احتلاله لانجلترا عدة مرات، فموت والده اضطره إلى التوجه إلى أنجو Angou لكي يتسلم ميراث أبيه، والآن نفد صبره وضاق صدره بسبب هذا التأخير فقد أرسل إليه مؤيدوه في انجلترا الإيرل ريجنالد ايرل كورنوال[2] Earl Reginald of Cornwall لحثه على ضرورة الحضور بسرعة إلى هناك، فقد كان هنري قد تجهز من قبل لتنفيذ ذلك بعد الاجتماع الذي كان قد عقده في السادس عشر من أبريل الماضي مع البارونات، لكنه اضطر إلى إلغاء هذه التجهيزات بسبب سفره إلى بواتييه للزواج، لكنه لم يستطع البقاء مع إليانور بعد الزواج أكثر من أسبوعين وربما أقل من ذلك[3].

انتقلت أخبار زواج هنري من إليانور، خلال فترة التجهيزات هذه وكان لهذه الأخبار صدى كبيرا في جميع أرجاء أوروبا.

اختلفت أصداء خبر هذا الزواج ما بين رفض وتأييد، فكان من بين الرافضين جيفري بلانتاجنت أخو هنري الأصغر الذي فشل في الزوج من إليانور، والذي كان غاضبا على ميراثه الصغير الذي ورثه من والده ويشمل ثلاث قلاع صغيرة فقط.

ومنهم أيضا هنري أوف شامبني[4] Henry of Champagne الذي خطب إبنة إليانور ماري Marry التي كانت في السابعة من عمرها وكان يخطط للحصول على دوقية أكوتين بموجب زواجه من ماري لكن بعد زواج إليانور، أصبح تحقيق حلمه مستحيلا[5].

وهناك أيضا يوستاس Eustase ابن الملك ستيفن Stephen الذي كان يأمل في تتويجه ملكا على إنجلترا يوما ما، لكن بعد ازدياد قوة خصمه ومنافسة هنري بلانتاجنت الذي أصبح يمتلك نصف فرنسا بعد زواجه من إليانور، أخذ يوستاس يعد العدة للانتقام من هنري.

---

(1) Robert of Torigni, chronicle, PP. 164 – 165.

(2) كورنوال: مقاطعة إنجليزية تقع في الجنوب الغربي وتطل على المحيط الأطلنطي من الشمال وعلى القنال الإنجليزي من الجنوب. انظر:
Morre, W.G, The Penguin Encylopedia, P. 200.

(3) Robert of torigni, chronicle, PP. 164 – 165. Meade, Eleanor, P. 153.

(4) أراد الملك لويس السابع أن يخلق لنفسه تحالفات قوية بالمصاهرات السياسية، فوعد بإتمام زواج ابنتيه من الملكة إليانور من الكونت تيوبولد كونت بلوا والكونت هنري كونت شامبني وجدد هذا التحالف في عام 1160م/555هـ ولم يكن هذا التحالف من أجل الملك لويس وحده بل كان أيضا من أجل الكونت ثيوبولد الذي كان على صداقة بالملك هنري الثاني، إلا أنه رغم تلك الصداقة قام بالدفاع عن أملاك الملك الفرنسي عندما تعرضت للهجوم من قبل قوات الملك هنري الثاني الذي كان يريد الضغط على الملك لويس من أجل الانضمام في هجومه على دوقية تولوزو. لمزيد من التفاصيل انظر:
رالف اوف دستيو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص482.

(5) Robert of torigni,Chronicle, P. 165.
Meade, Eleanor, P. 153.
Kelly, Eleanor, P. 83.

على أية حال فإن الشخص الأكثر غضبا وذهولا كان لويس السابع Louis VII الذي رأى أن زواج إليانور من هنري، خيانة ومؤامرة كبرى دبرت من قبل زوجته السابقة وزوجها الجديد.

رأى لويس السابع أن الزوجين قد خرجا على العرف والقانون الإقطاعي، لأن إليانور لم تحصل على موافقته على الزواج بصفتها من أتباعه، وهنري لم يراع أو يلتزم بقسمه الذي أقسمه منذ بضعة أشهر أمام لويس سيده الأعلى[1].

لقد تساءل لويس متعجبا كيف يمكن لإليانور أن تتزوج من هنري بلانتاجنت، وهي تعلم أن القديس برنارد قد أعلن حرمة زواجه من ابنتها ماري منذ عدة سنوات كما أن إليانور التي أزعجته بورعها وخوفها من وجود قرابة رحم بينهما، وقطعت مسافة سفر طويلة من أنطاكية إلى توسكولوم Tosculum لطلب الطلاق بسبب قرابة الرحم هذه، فكيف يمكن لها أن تتزوج من هنري ودرجة قرابتها منه أكبر من قرابتها للويس، لذلك امتلأ قلبه بالكراهية الشديدة لهنري الذي اختطف منه زوجته، كما حمل نفس الشعور لزوجته السابقة إليانور.

عقد لويس اجتماعا في البلاط مع مستشاريه لبحث وإيجاد حل أمام هذه الأحداث المخزية ولاتخاذ القرار والعقاب الرادع لهذين الزوجين الخائنين.

اقترح مستشاروا لويس ضرورة إعلان الحرمان الكنسي ضد الزوجين وطبقا لذلك أرسل لويس مذكرة يطلب الزوجين للمثول أمامه في البلاط الفرنسي لرد التهم المنسوبة إليهما ومع ذلك لم يبال هنري ولا إليانور بذلك ولم يحضرا إلى فرنسا بناء على أمر الملك، مما أدى إلى ازدياد غضبه لذلك رأى ضرورة اتخاذ قرار عملي لمواجهتهما[2].

شكل لويس تحالفا من البارونات المعارضين لهنري، والساخطين على زواجه، كما انضمت إليهم قوات من قبل روبرت Robert شقيق لويس، وثيولوبود كونت بلوا Theobald count Blois وهنري أوف شامبني ويوستاس، وجيفري بلانتاجنت، ويهدف التحالف إلى استعادة بواتييه وأكوتين وتقسيمهما بين الحلفاء، وبدلا من أن تقوم قوات التحالف بمهاجمة أكوتين اتجهت مباشرة إلى نورمنديا Normandy لمهاجمتها والانتقام من هنري لكن سرعان ما اتضح أن لويس السابع أخطأ التصرف.

فبمجرد أن علم هنري بهذا التحالف، قام بقيادة قواته بسرعة متجاهلا قوات لويس كابيه ، فقام بتدمير فيكسين Vexin والأراضي التابعة لروبرت شقيق لويس كابيه، ثم اتجه غربا إلى تورين Tourain حيث عزل أخيه جيفري عن القلاع الثلاث التي كانت بحوزته، وخلال ستة أسابيع كان هنري قد دمر كل أعداءه ومعارضيه[3]، أما لويس كابيه، فقد أصيب بالحمى وعاد إلى فرنسا وهو يشعر بالندم والحسرة على أكوتين التي كان يرى أنها ميراثا شرعيا لابنتيه ماري Marry وأليس Alice[4].

---

(1) Gervas of Canterburg, opera Historica, Edited by William Stubbs, 2 Vols. Rolls series 73, Vol. 1, P. 149.
Kelly, Eleanor, P. 82. Meade, Eleanor, P. 153.
(2) Gervas of canterbury, opera Historica, Vol,1, P. 149.
Kelly, Eleanor, P. 82. Meade, Eleanor, P. 153.
(3) Robert of Torigni, Chronicle, P. 165.
Meade, Eleanor, P. 153. Kelly, Eleanor, P. 83.
Laviss, Historie de France, Tom, 2, P. 30.
(4) Robert of Torigni, Chronicle, P. 165.

شعرت إليانور بالقلق الشديد والخوف على أملاكها في أكوتين، وذلك طوال الفترة التي غاب فيها هنري عن بواتييه لمواجهة أعدئه، لكن أخبار انتصاراته خففت من قلقها، وتأكدت إليانور من قدرة هنري وشجاعته كقائد، ولكن شعور الخوف انتابها مرة ثانية لأنها لم تحمل من هنري بعد زواجها وكانت متلهفة لإثبات قدرتها على الإنجاب منه خاصة وأنها أقنعت هنري أن عدم حملها من لويس يرجع إلى أنه كان يعيش معها كراهب وليس كزوج وشغلت إليانور وقتها بإدارة شئون دوقيتها خلال فترة انشغال هنري عنها بسفره الدائم[1].

إن المراسم والصكوك الرسمية التي أصدرتها إليانور في أوائل شهر يونيو عام 1152م توضح سلطتها واعتزازها بمكانتها الزوجية: "أنا إليانور. بفضل الله، دوقة أكوتين، ونورمنديا أتحد مع هنري دوق نورمنديا وكونت أنجو..".

توضح هذه المراسيم، الامتيازات التي منحتها إليانور أو استردتها من بعض الأديرة.

فعلى سبيل المثال أعادت إليانور مرة أخرى الامتيازات التي منحها جدها ووالدها إلى دير مونتبرنيوف Abbey of Montierneuf لكنها لم تذكر أو تشير إلى زوجها السابق الذي منح امتيازات كثيرة إلى الرهبان.

أما دير القديس ميكسنت Maixent فقد استردت إليانور منه الغابة التي تبرع بها لويس إلى الدير، وجددت حقوقهم في الأراضي[2].

أما دير فونيفريولت Fontevrault فكان له مكانة خاصة لديها وكان له الأسبقية في كل شئ وقبل كل المؤسسات الدينية الأخرى.

أكدت إليانور لهذا الدير كل الامتيازات الحالية بالإضافة إلى هبة شخصية تتكون من خمسمائة سو Sou وهي عملة فرنسية قديمة[3].

بعد القضاء على تحالفات لويس ضد هنري في أغسطس سنة 1152م وصل هنري إلى بواتييه في الوقت الذي كان عليه التوجه إلى إنجلترا للاستيلاء على العرش.

استغلت إليانور فرصة وجود هنري معها في بواتييه لكي تطلعه على كل الدوقية ليتعرف على أملاكها واقعيا ولكي تقدمه إلى أتباعها الذين كانوا ورغم حبهم لها لا يحترموا زوجها الأول لويس السابع رغم تهديداته التي لم تؤثر على استقلالهم، كما أن البارونات التابعين لها قابلوا هنري بلانتجنت ببرود شديد عندما قدمته لهم مما اضطرها إلى الرضوخ لإرادتهم وهي عدم تقديم الولاء والتبعية له لأنه لا يزيد عن كونه زوجا لدوقتهم، ومع ذلك توقعت إليانور أن موقفهم من زوجها سوف يتغير، وأن كراهيتهم له سوف تذوب بمرور الوقت وهم في النهاية لم يكن لديهم أي اختيار سوى قبوله[4].

Meade, Eleanor, P. 153. Kelly, Eleanor, P. 83.
Lavisse, Historie de France, tom 2, P. 30.

(1) Meade, Eleanor, PP. 153 – 154.
(2) Meade, Eleanor, P. 154.
(3) Round, John Horace, ed calendar of Documents preserved in France Illustrative of History of Great Britain and Ireland. Vol. 1, London, 1899, P. 375.
Meade, Eleanor, P. 155.
(4) Meade, Eleanor, P. 156. Kelly, Eleanor, P. 83.

وخلال الجولة التي نظمتها إليانور، زارت هي وهنري أملاكها الجنوبية وشاهدا مزارع العنب في بواتييه واستردوا القلاع والحصون التي انسحبت منها حاميات لويس مؤخرا، كما رأى هنري المستنقعات المالحة في أقصى الجنوب والتي خصصت لرعاية الخراف.

قابلت إليانور طوال الجولة أصدقاءها القدامى، وكانت الأغاني والضحك يملآن كل مكان من قبل الحشود اللاهية من الفرسان والسيدات، والشعراء، والموسيقيين الذين غنوا أغاني الحرب والحب والأغاني الصاخبة لوليام الشاعر المتجول، كما أقيمت مآدب للطعام في القاعات الفاخرة التي أضيئت بالشموع، وكان ضيوف إليانور مشتاقون لحكاياتها وروايتها عن سفرياتها ورحلتها إلى الشرق، أما هنري فقد استمتع خلال تلك الجولة، ومارس هواياته المفضلة في الصيد وركوب الخيل، لكنه في كل الأوقات، كان يشعر بعداوة أتباع إليانور وكراهيتهم له، وكبح مشاعر غضبة بصعوبة.

أقام هنري وإليانور خيمهم خلال جولتهم في مدينة ليموج Limoges ورغم ترحيب أهالي المدينة بالعائلة الملكية، إلا أنهم أخفقوا في إرسال الإمدادات والمنح المألوفة طبقا للعقد الإقطاعي إلى خيمة المطبخ الملكي[1]، حيث اشتكى طباخ إليانور من قلة المؤن وعندما سأل هنري عن سبب ذلك أجاب رئيس دير القديس مارتيال بأن البلدة ملزمة فقط بإرسال المؤن عندما يقيم هنري في أحد المنازل الموجودة داخل المدينة، وفيما عدا ذلك ليسوا ملزمين بإرسال الطعام إلى الخيمة الملكية.

إن هذا التصرف الذي حدث من أهل المدينة كان يعني عدم التزامهم بواجباتهم الإقطاعية تجاه هنري، وقد نتج عن ذلك التصرف السئ أن انفجر هنري في ثورة عارمة من الغضب وأخذ يصرخ ويحطم الأثاث ويضرب أي شخص أمامه، وكانت المرة الأولى التي رأت فيها إليانور هنري على تلك لحالة التي اتسم بها الإنجفيين عند الغضب.

وقفت إليانور بجانب هنري في ثورته محاولة تهدئته في الوقت الذي أمر فيه هنري بهدم أسوار مدينة ليموج Limoges ردا على سلوك أهلها.

لم تستطع إليانور الاعتراض على قرار زوجها ولم تجد سوى الرضوخ لأمره، رغم أن هذا القرار يمثل إهانة شديدة لها[2].

لم يؤثر قرار هنري على حب أهالي المدينة لإليانور، حيث إن أهل الجنوب كانوا يعشقون دوقتهم وكانوا سعداء بأي عمل تقوم به وكانت لها الصدارة عندهم أما هنري فكان دوره هامشيا وثانويا لكن ذلك لم يضايقه.

الحملات العسكرية للدوق هنري ضد مملكة انجلترا وتوليه عرشها :

يرجع تأخر هنري عن التوجه إلى مشروعه الحربي في انجلترا إلى رغبته في معرفة أملاك وإيرادات إليانور حتى يستفيد بها ويستغلها في تعزيز خطته في احتلال إنجلترا.

عادت إليانور إلى بواتييه في بداية ديسمبر عام 1152م، بينما سافر هنري إلى نورمنديا، حيث زار والدته في مدينة روين[3] Rouen وبعدها أبحر في ليلة شتوية عاصفة على رأس أسطول مكون من ست وثلاثين سفينة، ومائة وأربعين فارس وثلاثة آلاف جندي[1].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 156 – 7, Kelly, Eleanor, P. 83.

(2) Meade, Eleanor, P. 157.

(3) مدينة روين: مدينة فرنسية تقع على نهر السين وهي على بعد مائة وثلاثة عشرة كيلو مترا إلى الشمال الغربي من باريس واتخذت عاصمة لدوقية نورمنديا في القرن العاشر . انظر:
Moore, W.G., op, cit., P. 667.

هبط هنري وأسطوله في ميناء بريستول[2] Prestol وكان هنري قبل رحيله عن بواتييه قد طلب من إليانور أن تقيم في قلعة أنجري Angres وهي العاصمة الأصلية للإنجفيين، لكن من المحتمل أن إليانور كانت تقضي جزءا من وقتها في بواتييه، كما أنابت عنها في حكم أكوتين خالها رالف دي فاي Ralph De Fay وهو شقيق أمها والشخص الوحيد الذي ائتمنته[3].

برغم إن إليانور كانت تفضل البقاء وعدم الانتقال من مدينتها بواتييه، لكنها لم تبد أي اعتراض عندما طلب هنري منها الإقامة في أنجري Angres، ولم تكن المرة الأولى لها ولا الأخيرة التي اضطرت فيها أن تضع أولويات الزوج فوق مصلحتها الشخصية، فمستوى ثقافتها العالي، جعلها تقدر وتقارن حاضرها بمستقبلها الذي وجدته مليئا بالنجاح، خاصة وأنها كانت سعيدة لأنها اكتشفت حملها الجديد[4].

يبدو أن اختيار هنري لقلعة أنجري Angres لتكون موضع السكن والإقامة لإليانور كان اختيارا صائبا لأنها قلعة آمنة وتقع في قلب ممتلكات هنري البعيدة عن النزاع وعن مكائد وتهديدات الفرنسيين، وقد قام ببنائها سابقا الملك فولك Fulk جد هنري وعندما توجه إلى الشرق في الحملة الصليبية الأولى ليكون ملكا على مملكة بيت المقدس، ترك القلعة إلى ابنه جيفري الجميل الذي جعل بلاطه في تلك القلعة ملاذا للعلماء من أجل تسلية نفسه وتعليم أبنائه.

تميزت مدينة أنجري بكثرة وجود المدارس، الكنائس، الأديرة، ووجود العلماء والفلاسفة والشعراء.

ألقت تلك المدينة بشعاعها من التنوير والعلم على طول وديان نهر اللوار Loire والمين Maine وكانت ملتقى الطرق بين بريطانيا، ونورمنديا، لكن بعد وفاة جيفري وغياب هنري، والإمبراطورة ماتيلدة عن تلك المدينة، نقل هنري الدوقة إليانور إليها، ليجعلها مركزا من مراكز الثقافة والفنون تناسب سلالة الإنجيفيين الجديدة[5].

بدأت إليانور فورا بعد انتقالها إلى أنجري Angres برنامجا أكثر نشاطا مما قامت به في السنوات الماضية، ففي خلال عام 1153م/548هـ قامت إليانور بجمع عدد كبير من الشعراء الجائلين[6]، خلال رحلاتها ثم نقلتهم إلى أنجري، كما نقلت إليها أيضا عائلتها، وعددا من أبنائها وأقربائها منهم أختها بترونيلا Petronella وأخواتها الغير شرعيين وليام Willeam وجوسلين Joscellin، كما نقلت أيضا عازفي الموسيقى الذين كان طلبهم الوحيد منها هو الغناء لها والثناء عليها.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 157. Kelly, Eleanor, P. 83.

(2) بريستول: مدينة إنجليزية، وميناء بحري ومركز صناعي، تقع على نهر افون على بعد أحد عشر كيلو مترا من بداية قناة بريستول. وبدأت نشاطها التجاري مع نهارية حكم الأنجلو سكسون وبلغ الذروة في القرن الثاني عشر الميلادي. انظر:
Moore, W.G., op, cit., PP. 125 – 126.

(3) Richard, Alfred, Histoire, Vol, 2 , P. 115.
Kelly, Eleanor, P. 84, Meade, Eleanor, P. 158. FFiona, Eleanor, P. 40.

(4) Meade, Eleanor, P. 159.

(5) Marks, claude pilgrims, Heretics, and lovers A, medieval Journey, New York, Macmillan Goy 1975, P. 156.
Meade, Eleanor, P. 159 – Kelly, Eleanor, PP. 84 – 5.

(6) قام لويس بعد طلاقه لإليانور باستبعاد ونفي الشعراء من بلاطه وأعاد بلاطه إلى حالته الرهبانية السابقة.

بعد استنشاق إليانور لنسيم الحرية، وقيامها بتهيئة المناخ الثقافي والفني في قلعة أنجري Angres، والذي طالما حلمت به استطاعت أن تمحو من عقلها الذكريات المريرة التي عاشتها في قلاع آل كابيه المتزمتة.

إن اللمحات التي نلمسها عن إليانور أثناء تلك الفترة لا تستخلص من السجلات ولا الوثائق، وإنما وصلت إلينا من خلال الشعراء الذين صوروا إليانور امرأة شابة نشطة مرحة متلهفة على العشق[1]، فعلى الرغم من كونها في حالة حمل، إلا أن كثيرا من الرجال الذين تواجدوا في بلاطها وقعوا في حبها.

استطاعت إليانور بذكائها وتجاربها السابقة وتربيتها التي أهلتها لتلعب دور الناقدة والراعية للآداب والفنون أن تميز وتتعرف على أصحاب المواهب الفنية وتوزع عليهم الجوائز الثمينة اقتداء بجدها وليام الشاعر وعلى رأس هؤلاء الشعراء بيرنارد أوف فنتادور Bernard of Ventador الذي عاش في الفترة من (1145-1180م) والذي يعتبر بوجه عام من أشهر الشعراء في قصائد الحب[2][3].

على أية حال فإن الشعراء الجائلين لم يكن لهم وجود في انجلترا في هذا العام، لأن انجلترا كانت تتعرض لاضطرابات كثيرة بسبب حملة هنري بلانتجنت عليها، حتى أن البعض وصفه بالشجاعة والجرأة وآخرون بالتهور والطيش[4].

كانت الظروف كلها في صالح هنري منذ أن رسى هو وأسطوله وجيشه في ميناء بريستول Prestol فخطته العسكرية والفرسان الذين تقدموا الجيش إلى جانب تحسن الطقس، كل ذلك هيأ له المجال لتحقيق أهدافه، فقد اتبع هنري خطة عسكرية محكمة وهي الهجوم أولا على قلعة مالمسبوري Malmesbury بدلا من الهجوم على الملك ستيفن Stephen في قلعة والينجفورد Walingfode مما أجبر الملك ستيفن على التقدم بجيشه إليه، وعندما بدأ التلاحم بين القوتين، انهمرت الأمطار الغزيرة، والرياح العاصفة والبرودة القارسة، وكأنما هناك اتفاق بين هنري والطبيعة. مما أدى إلى عجز قوات الملك ستفين عن التقدم والموجهة والاستسلام إلى هنري وجيشه[5].

بعد هذا النصر السريع الذي أحرزه هنري أوقف حملاته حتى لا ينظر إليه على أنه شاب مغامر متهور، كما بدأ يقدم عليه في انجلترا النبلاء الأقوياء لدعمه بالمال والقوات.

شعر هنري في صيف عام 1153م، بأنه في وضع قوي يمكنه من التوجه إلى مساعدة أتباعه المحاصرين في قلعة والينجفورد Wallingford وللمرة الثانية ادعى البعض بأن الظروف مهدت الطريق أمام هنري لتحقيق الانتصار[6]، فعندما سقط الملك ستيفن قبل بدء المعركة ثلاث مرات من فوق جواده، ترجم مستشاروه هذه الحوادث بأنها طوالع وإنذارات للهزيمة.

---

(1) Marks, Pilgrims, P. 156.
Meade, Eleanor, P. 159. Kelly, Eleanor, PP. 84 - 5

(2) لمزيد من التفاصيل عن برنارد اوف فنتادور انظر الفصل السابع من البحث.

(3) Marks, Pilgrims, P. 156, Meadia, Eleanor, P. 159.

(4) Henry of Huntingdon, Chronicle, PP. 290 – 291. Meade, Eleanor, P. 160.

(5) روجراف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار، ج39، ص176.

(6) Henry of Huntingdon, Chronicle, PP. 292 – 293.
William of Newburgh, History, P. 127.
Meade, Eleanor, P. 162.

تـذكر السـجلات بـأن الموقـف كـان صـعبا لرؤيـة آلاف الجنـود المتلهفـين للإنضـمام إلـى المعركة، لقتل أقربائهم وأصهارهم.

على الضفة المواجهة لنهر التايمز Tiemes وفي مكان ضيق على النهر، اجتمع هنري وستيفن سويا بمفردهما وبعيدا عن جيوشهما.

وبعد قليل عاد كل منهما إلى قواته وأعلنا إلغاء المعركة دون إبداء الأسباب، كان رد فعل يوستاس Eustace ابن الملك ستيفن من موقف والده الضعيف والمتخاذل تجاه هنري سيئا فقد غضب غضبا شديدا وقرر مغادرة والبنجفورد، لكن بصفته الوريث الشرعي لعرش انجلترا، قام بجمع الأموال اللازمة لاستئجار الجنود فتوجه إلى دير القديس إدموند Saint Admond وطلب من الرهبان إمداده بالأموال ليدفعها لقواته، لكن الرهبان رفضوا دفع أموال له رغم ترحيبهم به[1].

وفي السابع عشر من أغسطس عام 1153م أصدر يوستاس أوامره لجنوده للقيام بالسلب والنهب في جميع أنحاء انجلترا بما في ذلك دير أدموند، وأن يحضروا الغنائم إلى قلعة قريبة منه.

وفـي مسـاء تلـك الليلـة، جلـس يوسـتاس لتنـاول وجبـة العشـاء، وفجـأة تـوفي أثنـاء تناولـه الطعام[2].

رغم أن وفاة يوستاس كانت بسبب السمك الفاسد الذي تناوله، لكن مؤرخي القرن الثاني عشر أرجعوا وفاته إلى أنها عقاب الله الذي كان يعمل لصالح قضية هنري بلانتاجنت[3].

ضـعف موقـف الملـك سـتيفن بسـبب وفـاة ابنـه، فقـام بـدعوة هنـري لعقد اجتمـاع فـي مدينـة وينشستر Winchester في السادس من نوفمبر عام 1153م لمناقشة شروط السلام بينهما.

بعد ذلك توجه القائدان إلى لندن London حيث قدم الملك ستيفن هنري إلى نبلاء انجلترا وطلب منهم أن يؤدوا له يمين الولاء، وأكد على حقه في وراثة العرش من بعده وبذلك قضى ستيفن بقية حياته، وفقا لهذه المعاهدة يحكم انجلترا بشراكة هنري له[4].

أخيرا وبعد فترة طويلة من الحرب الأهلية، أقسم نبلاء انجلترا يمين الولاء إلى متيلدا وأصبح الطريق ممهدا لأول سلالة البلانتجنت إلى عرش انجلترا[5].

رأى هنري أن الملك ستيفن مازال قويا وصحيح البدن وهو في الثامنة والخمسين من عمره، ومن الممكن أن يمتد به الأجل سنوات طويلة أخرى مما أثار الشك في داخله، رغم اعتراف ستيفن به وريثا وناصحا له في أمور الحكم فقد كان هناك كثيرا من الساخطين والحاقدين الذين عملوا على تزكية هذه الأفكار في نفسه وكذلك بذر بذور النزاع بينهما. وبعد نجاحهم في تحقيق غرضهم قرر هنري عدم

(1) Henry of Huntingdon, Chronicle, PP. 292 – 293.
William of Newburgh, History, P. 127.
Meade, Eleanor, P. 161.
(2) Gervase of Canterbury.
Opera Historica edited by William stubbs . 2 Vols.
Rolls series 73. Vol. 1, P. 155.
(3) Meade, Eleanor, P. 162.
(4) Henry of Huntingdon, Chronicle, PP 294 – 295.
(5) Henry of Huntingdon, Chronicle, PP. 294– 295.
William of Newburgh, History, P. 127.
Meade, Eleanor, P. 162, Owen, Eleanor, P. 36.
روجر اوف وندوفر: أزهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص177.

ترك انجلترا حيث ظل بها حتى ربيع 1154م[1] وبحلول عيد الفصح، قرر هنري العودة إلى نورمنديا، حيث استقبل بحفاوة وترحاب من قبل أمه وإخوته، وكل مواطني نورماندیا، وأنجو، ومين وبواتييه[2].

كانت إليانور أكثر الحاضرين سعادة بعودة زوجها، رغم إهمال المؤرخين ذكر ذلك خاصة بعد أن أنجبت ابنها الأول في السابع عشر من أغسطس، وهو نفس اليوم الذي مات فيه يوستاس ابن الملك ستفين، وقررت تسميته وليام William نسبة إلى جدها وأبيها وكذلك جد زوجها هنري بلانتاجنت وليم الفاتح William the conqueror.

توجهت إليانور إلى روين Rouen قادمة من قلعة أنجري Angres لتكون في شرف استقبال زوجها، وهناك قابلت لأول مرة عمتها ماتيلدة والدة هنري والتي اختلفت علاقتها معها اختلافا بينا عن علاقتها بوالدة زوجها السابق لويس السابع والتي كان طابعها العداء المتبادل احترمت إليانور ماتيلدة احترام كثيرا تلك الأرملة العنيدة والتي قضت سنوات عديدة تكافح من أجل استرداد ميراث ابنها فقد أعجبت إليانور بشخصية ماتيلدة قبل أن تقابلها وبرغم من أنها كانت تعلم أن الاقتراب من ماتيلدة ليس بالأمر السهل ولن تستطيع أن تحبها لكنها لن تعاديها وإن كانت في كثير من الأحوال تشعر بالغيرة منها بسبب علاقتها الخاصة بابنها تلك العلاقة التي لم تكن مجرد علاقة أم بولدها[3].

كانت ماتيلدة هي الشخصية الرئيسية والمحورية في حياة هنري فكان دائما يلجأ إليها ويأخذ بمشورتها في كل عمل يقوم به، حتى بعد زواجه من إليانور مما أثار غيرتها لأنها أرادت أن تكون هي المستشارة الخاصة له بحكم تجربتها وقدرتها كزوجة.

لم ينتقل الشعراء الجائلون مع إليانور من أنجري Angres إلى روين Rouen وذلك لأن الإمبراطورة ماتيلدة لم ترحب بوجودهم حيث كانت تفضل وجود الفلاسفة الذين كانت ترى أنهم أكثر ثقافة من الشعراء الجائلين، الذين كانوا في بلاط إليانور في أنجري ولم يجدوا أمامهم سوى العودة إلى الجنوب الذي وجدوه أكثر ملاءمة لهم.

لم تشعر إليانور بالسأم والملل بعد انتقالها إلى روين مع عدم وجود الشعراء والمناخ الثقافي بها فقد اشتغلت بالأحداث التي احتدمت هناك وبالأخبار المستمرة التي وصلت من لندن.

لم يمكث هنري بعد عودته إلى روين طويلا حيث اضطر إلى التوجه إلى فيكسين Vexin للدفاع عنها[4] من اعتداءات لويس السابع الذي قام بحملة على هذه المدينة في بداية أكتوبر 1154م وبعد عودته قام برحلة إلى القديس جيمس Saint James في كومبو ستيلا Compostelia بحجة رغبته في القيام بالحج لكن الهدف الأساسي لرحلة لويس كان البحث عن عروس له، حيث قام بخطبة ابنة ملك قشتالة Castile التي تدعى كونستانس Constance والتي كانت تختلف تماما عن إليانور.

(1) Henry of Huntingdon, Chronicle, P. 296. William of Newburgh, History, P. 127. Meade, Eleanor, P. 162.
(2) Henry of Huntingdon, Chronicle, P. 296. William of Newburgh, History, P. 127. Meade, Eleanor, P. 162.
(3) Meade, Eleanor, P. 164. Kelly, Eleanor, PP. 88 – 89 – 90. Lavisse, Historie de France, Tom, 2 pp. 30- 31.
(4) Meade, Eleanor, P. 164.
Kelly, Eleanor, PP. 88 – 90.
Laivsse, Historie de France, Tom, P. 30 – 34.

انتقلت أخبار لويس إلى مدينة روين فاتخذت منها إليانور سببا للتسلية فقد اندهشت لأن زوجها السابق سافر مسافة طويلة إلى أسبانيا من أجل البحث عن عروس له، ثم عاد إلى فرنسا عن طريق تولوز Toulous حتى لا يعود من خلال أراضي إليانور أو يخطو خطوة واحدة عليها[1].

وصل مبعوث من انجلترا إلى روين أثناء غياب هنري للتصدي لأحد أتباعه الثائرين، وكان يحمل رسالة مهمة من ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري Canterbury.

توفي الملك ستيفن ملك انجلترا متأثرا بمرضه في الرابع والعشرين من أكتوبر 1154م، لذلك أصبح لزاما على هنري التوجه مباشرة دون تأخير إلى انجلترا لتسلم عرشها الذي كان يحلم به أهله أكثر من مائة عام أو أكثر.

وصل المبعوث الإنجليزي إلى روين أثناء الليل وبمجرد أن علم هنري بالخبر عاد مسرعا من فيكسين، وخلال أسبوعين جمع حاشية كبيرة من الجنود والبارونات والأساقفة وجميعهم من مؤيديه وانضم إليهم بعض الجنود كبار السن التابعين لإليانور، كما سافرت إليانور أيضا بصحبة زوجها. أم الأم ماتيلدة فلم تسافر معهم ولم تكن حاضرة عندما تم مسح هنري بالزيت المقدس لتسلم عرش انجلترا، كما كان من بين الحاضرين أخاه الأصغر، وأخت إليانور، وأخواها والأمير الصغير وليام ابن هنري.

أسرع الجميع إلى ميناء بارفليور[2] Barfleur لمساعدة هنري في المطالبة بتاجه[3]. وقد ظلت انجلترا بدون حاكم لمدة ستة أسابيع فبرغم استعداد هنري وحاشيته للذهاب إلى انجلترا إلا أنهم ظلوا في ميناء بارفليور من بداية شهر نوفمبر وحتى بداية شهر ديسمبر لسوء الطقس ولم يسمح لهم بالإبحار، فالأمطار كانت غزيرة والرياح شديدة وكان هنري يستشير ملاحيه وهو غاضب فكل يوم يمر دون الرحيل كان يزيد من قلقه وغضبه فقد عاقت العواصف الشديدة المستمرة سفنه واضطر هنري وحاشيته إلى البقاء في الحانات الموجودة على طول الميناء منتظرين تحسن الطقس والظروف المناخية[4].

استمرت العواصف لمدة شهر كامل، وأثناء ذلك أصبح لدى إليانور الوقت الكافي لمراقبة الشاطئ وضوضائه وللتحدث طويلا مع أختها بتروتيلا وأخواها، ولتتأمل القدر الذي جاء بها إلى ذلك الميناء، ذلك القدر الذي ربط مستقبلها بنجم البلانتاجنت الذي بدأ يسيطر على العالم كله.

رأت إليانور أن الحظ معه دائما ليس من بداية عهده في الحكم لكن منذ العام الأول من ولادته ذلك الحظ الذي ساعده على تنمية ثروته ومكانته لقد كانت الظروف في صالحه وكان القدر يهيئ ويعد له مكانته منذ ولادته، سواء تمثل ذلك في غرق الأمير وليام في السفينة البيضاء إلى

---

(1) Meade, Eleanor, P. 164.
Kelly, Eleanor, PP. 88 – 89 – 90.
Laivsse, Historie de France, Tom 2, PP. 30 – 31.

(2) ميناء بارفليور Barfleur يقع داخل مدينة بارفليور وهي مدينة فرنسية وميناء بحري على بحر المانش وكانت المدينة من النقاط الهامة لمملكة انجلترا في العصور الوسطى. انظر:
Moore, Enclopidia, P. 81.

(3) Henry of Huntingdon, Chronicle, P. 296. William of Newburgh, History, P. 133.
Meade, Eleanor, P. 165.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ج39، ص193.

(4) Henry of Huntingdon, Chronicle, P. 296.
William of Newburgh, History, P. 133.
Kelly, Eleanor, P. 91, Owen, Eleanor, P. 36.

رحيل جيفري كونت أنجو، إلى وفاة بوستاس، ثم أخيرا موت الملك ستيفن بعد عام واحد على توقيعه معاهدة ونشيستر.

إن تواري كل واحد من هؤلاء عن مسرح الأحداث قرب هنري خطوة من الإمبراطورية التي كان يرنو إليها.

وبحلول شهر ديسمبر عام 1154م، وبعد أربعة أسابيع من الانتظار هدأت الريح بعض الشئ لكن الضباب ما زال يغطي الشاطئ والسفر بحرا يمثل خطورة لكن صبر هنري نفذ، ولم يعتد يحتمل التأخير أكثر من ذلك، لذلك قرر الرحيل بغض النظر عن الطقس السئ.

في فجر السابع من ديسمبر وبعد احتفال هنري وحاشيته يعيد القديس نقولاس Saint Nicola حامي البحارة والمسافرين استقلوا السفن وأبحروا وبصحبتهم إليانور التي كانت في الشهر السابع لحمل آخر وتحمل معها ابنها الأول وليام William الذي يبلغ خمسة عشر شهرا، هكذا عبرت إليانور البحر إلى انجلترا لتصبح أكوتين وأبنائها سادة التاج الإنجليزي وهكذا بذرت إليانور بذور النزاع بين فرنسا وانجلترا ذلك النزع الذي ظل مستمراً ولم تقض عليه إلا امرأة أخرى وهي جان دارك Jean D'arc[1].

رست القافلة أخيرا على الساحل الغربي لانجلترا في الثامن من ديسمبر بعد سفر يوم وليلة في الضباب وبالرغم من أن سفن القافلة تعثرت على طول الساحل، إلا أن السفينة الملكية هبطت في ميناء قريب من الغابة الجديدة ولم يستطع هنري الصبر وانتظار مرافقيه، فبمجرد وصوله الميناء انطلق هو وإليانور إلى ونشستر Winchester التي بها مقر إقامة العائلة الملكية[2].

لم يصدق موطنوا انجلترا الإشاعة التي انتشرت بأن الملك هنري وحاشيته أبحروا وسط الأمواج الهادرة، فجلسوا ينتظرون وسط الطرق المتجمدة ظهور ملكهم الشاب بوجهه المتورد وليروا زوجته الملكة المشهورة التي طلقت من الملك المتبلد الحس لتتزوج من شاب جرئ كان الإنجليز يشبهوه دائما بالنسر.

عندما اقترب الموكب الملكي من لندن خرج البارونات والأساقفة وحشود من أهل المدينة لاستقبال الملك وزوجته.

في الثامن من ديسمبر عام 1154م، رأت إليانور مدينة لندن للمرة الأولى ولا يوجد إحصاء دقيق يوضح عدد سكان لندن في هذا العام وإن كانت السجلات المختلفة ترجح أنهم كانوا حوالي الأربعين ألف مواطن وهذا الرقم يبدو معقولا[3].

وصف المؤرخ وليام فتز سفين William Vitzstephen مدينة لندن فذكر أنها تعتبر من بين المدن العريقة المشهورة في العالم، لهوائها الصحي وموطنوها المسحيين الصادقين.

كانت مدينة لندن مدينة غنية، فالتجارة هي الحرفة الرئيسية فيها حيث كان التجار يأتوا إليها من مختلف البلدان، وبينما كانت مدينة باريس تعج بالطلاب ومناقشاتهم، فإن مدينة لندن عجت بالتجار، الصرافون فجلب التجار بضائعهم إليها عن طريق البحر، فالعرب كانوا يرسلون الذهب

(1) Meade, Eleanor, P. 166.
(2) Henry of Huntingdon, Chronicle, P. 296.
Meade, Eleanor, P. 166.
Kelly, Eleanor, P. 92.
(3) Meade, Eleanor, P. 167.
Kelly, Eleanor, P. 92.

والتوابل والبخور، أما زيوت التمور فكانت تأتي من بلاد بابل الغنية، وأرسلت بلاد النيل الأحجار الكريمة، أما رجال النرويج وروسيا فأرسلوا الفراء وجلود النمور، ولم تكن الصين غائبة بحريرها الأرجواني، وجلب الفرنسيون معهم النبيذ.

اشتهرت لندن أيضا بتجارة الخيول، حيث كان يوجد فيها حقل يعرف باسم Smith Field (سميث فيلد)، ويقام في هذا الحقل كل ستة أيام من الأسبوع معرض وسوق كبير للخيول الجميلة حيث يذهب الفرسان والبارونات والإيرلات لشراء الخيول للحرب أو للحرث وعلى ضفاف نهر التايمز Tiemes انتشرت الحوانيت الخاصة ببيع النبيذ[1] ووجد بجانبها الحوانيت التي تقدم الأطعمة المطهية للناس حيث يمكن للمرء أن يجد الطعام تبعا للموسم من اللحوم والأسماك وهناك أطعمة عادية خاصة بالفقراء وأخرى فاخرة للأغنياء، كما وجدت أيضا أنواع مختلفة من الطيور وكانت هذه الحوانيت تقدم الطعام السريع للقادمين وعابري السبيل من المسافرين والذين يعانوا مشقة السفر والمضطرين لتناول الطعام دون انتظار[2].

عندما وصلت إليانور مدينة لندن، تمنت أن تكون من عامة الناس الذين يمكنهم التوجه إلى أحد هذه المطاعم المنتشرة على ضفاف النهر، فبرغم أنها وهنري لم يكونا زوارا غير متوقعين لكن لم يتخذ أي إجراء استعدادا لوصولهم.

تعرض قصر ويست منستر Westminister المقر الرسمي للعائلة المالكة للتخريب والتدمير، فقد كان بإمكان هنري إقامة معسكره في العراء، لكن إليانور كانت معتادة على الراحة والرفاهية، ولذلك قررت العائلة المالكة الإقامة المؤقتة في قصر قديم يقع في قرية بيرموندسي Bermondsey في الطرف الغربي لمدينة لندن وبعد مرور إحدى عشر يوما من وصول إليانور وهنري إلى لندن، وفي يوم الأحد الموافق 19 من ديسمبر 1154م اتجه موكب هنري وإليانور إلى كنيسة ويستمنستر[3] لإجراء مراسم التتويج وضم الموكب الملكي، الفرسان، والبارونات، والأساقفة ورؤساء الأديرة والكهنة وأخيرا هنري إليانور، اللذان كان يصحبهما ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري.

بدأ الرهبان في تلاوة القداس، وأثناء ذلك قام ثيوبولد بدهن هنري وإليانور بالزيت المقدس ووضع التاج على رأسهما بعد ذلك مباشرة أعلن هنري دستوره الجديد الذي تجاهل فيه سنوات حكم الملك ستيفن، وأشار إلى أجداده السابقين وأكد فيه على أنه سيسير على نهج جده هنري الأول، وأكد كذلك على الامتيازات والمنح، والحريات التي منحها جده هنري الأول للمواطنين كما أعلن إلغاء العادات السيئة التي سبق وأن ألغاها جده أيضا[4]، وبعد تتويج هنري وإليانور خرجا في موكب مهيب وسارا على طول الشاطئ وسط مواطنيهم الذين تجمعوا للتحديق في الملك والملكة[5].

---

(1) وليام فتز ستفين: حياة القديس توماس، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص101، 102، 103.

Meade, Eleanor, P. 167, Kelly, Eleanor, P. 93. Owen, Eleanor, P. 42.

(2) وليام فتز ستفين: حياة القديس توماس، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص101، 102، 103.

Meade, Eleanor, P. 167. Kelly, Eleanor, P. 93.

(3) ويست منستر Westminster مدينة إنجليزية ترتبط بمدينة لندن عن طريق الضفة اليمنى لنهر التايمز وكنيستها من أهم الكنائس الإنجليزية. انظر:

Moore, Encylopedia, PP. 855 – 6.

(4) Meade, Eleanor, P. 168 – Kelly, Eleanor, PP. 92 – 93.

(5) Henry of Huntingdon, History, P. 169.

بدأ هنري نشاطه بشكل مكثف منذ لحظة توليه الحكم، فمن بداية شهر يناير وفي الأسبوع الذي تم تتويجه فيه ملكا على انجلترا، كان يفد إلى قصر بيرموندس Bermondsey مجموعات متلاحقة من البارونات لتقديم الولاء إلى الملك ومناقشة أحوال المملكة[1]. أما إليانور فقد شعرت باختلاف الحياة بين مقرها الأصلي في أكوتين ومقرها الجديد في انجلترا.

كانت الحياة صارمة في مدينة لندن لأن طبيعة الشعب الإنجليزي جعلتهم عمليين وجادين وكانوا يذهبون يوميا مع زوجاتهم إلى حوانيتهم لممارسة حرفهم سواء البيع أو الشراء، كما أن الإنجليز لم يكن الطيش طابعهم ولم يسمحوا لزوجاتهم المحترمات أن يختلطن بهؤلاء النساء العاهرات حتى لا يتأثروا بهن[2]، بخلاف أهل أكوتين والجنوب عامة الذين عرفوا بالرومانسية، وكانوا يقرضون الشعر ويحبون الغناء أكثر من ممارسة الأعمال الجادة[3].

شعرت إليانور منذ اليوم الأول من إقامتها في لندن بالوحدة والغربة بينما انشغل هنري بشئون المملكة، لم تجد إليانور مايشبع رغبتها وميولها سواء في ممارسة السياسة أو الاستمتاع بالشعر والغناء ولم تمارس إليانور أي نشاط خلال العام الأول من تولي هنري الحكم، فلم يذكر المؤرخون أي أحداث تتعلق بها خلال تلك الفترة باستثناء إنجابها لإبنها الثاني[4] الذي وضعته في 28 فبراير عام 1155م، والذي عمده أسقف لندن وتسمى باسم والده هنري[5].

ولعل صمت السجلات عن تقديم أخبار عن إليانور ربما يرجع لانشغالها بتربية أطفالها، وإن كان من الصعب الجزم بذلك، لأن المعتاد لدى العائلات الراقية خاصة العائلة المالكة تسليم أطفالها إلى مربيات فور ولادتهم مباشرة.

إن الرأي الراجح حول تفسير خمول إليانور وعدم نشاطها في تلك الفترة يرجع إلى عدم احتياج هنري لخبرة زوجته الإدارية في ذلك الوقت، واكتفائه بعدد من الرجال القادرين على مساعدته في تلك المرحلة الأولى من حكمه، حيث عمل هنري بعد توليه الحكم على إنعاش المملكة وإخراجها من حالة الانحطاط الكلي الذي كانت تعيشه، فلم تؤثر الحرب الأهلية على استنزاف الموارد المالية للمملكة فقط بل إن الجهاز القضائي والإداري كان قد توقف تماما عن أداء وظيفته لذلك ركز هنري بعد اعتلائه العرش على البحث عن شخص يستطيع أن يحل محله أثناء غيابه عن المملكة وأن يتصف بالعدالة لأنه سوف يتولى رئاسية الجهاز القضائي ويشرف على أجهزة الدولة ويحل محل الملك أثناء غيابه فلابد أن يعامل المواطنين معاملة حسنة وحتى يؤكد هنري لأتباعه أنه لا يحمل ضغينة للبارونات الذين دعموا الملك ستيفن من قبل لذلك قسم تلك المهام بين ريتشارد لوسي Richard Luci وهو من أتباع الملك ستيفن المخلصين لكنه كان أيضا على دراية تامة

---

(1) Gervase of Canterbury, History, Vol. 1, P. 160,
Meade, Eleanor, P. 170, Alison, Eleanor, PP. 120 – 140.
(2) Meade, Eleanor, P. 170.
(3) Kelly, Eleanor, P. 94, Owen Eleanor, P. 42.
(4) Meade, Eleanor, P. 170.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص199.
(5) رالف اوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص479.
The Chronicle of Florence of Worcester with two continuations, translated from Latin Notes and illustration by Thomas forester, London 1857, P. 287.
Meade Eleanor, P. 170, Kelly, Eleanor, P. 94, Owen, Eleanor, P. 42.

بالإدارة الحكومية وبين روبرت إيرل لستر Robert Earl Lester وهو أحد البارونات التابعين للملك هنري ودعموه خلال حملته على انجلترا[1].

اختار هنري لرئاسة الخزانة العامة نايجل Nigle أسقف مدينة (إلى) Ely كما عهين توماس بيكت[2] مستشارا له مؤثرا إياه على الآخرين لكونه رجلا يقظا، وعلى دراية بأمور كثيرة، وأدى ما عليه وما اقتضاه منصبه على أكمل وجه، وكان ذلك بناء على نصيحة رئيس أساقفة كانتربري ثيوبولد، وأسقف وينشستر رغم أنه قد أحضر معه المستشار الخاص بأمه والمدعو وليام دي فري William Deverd إلا أنه شعر أنه من الحكمة قبول اقتراح ثيوبولد[3].

قام هنري بضبط الأمور في البلاد وإصلاح ما أفسده نظام الملك ستيفن فقام بهدم القلاع الغير قانونية وطرد المرتزقة الفلمنكيين وحاصروا قلاع البارونات المعارضين له حتى استسلموا جميعا[4].

لذلك ونتيجة لانشغال الملك هنري، فإنه لم يحضر ولادة ابنه بل عاد بعد أسابيع من ولادته.

لم يضيع هنري الوقت في الاحتفال بولادة ابنه لذلك وبعد عودته إلى لندن مباشرة بدأت إليانور في الظهور في الأعمال الرسمية، فقد عقد الملك هنري اجتماعا حضره كل الأساقفة ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تجديد البراءات والامتيازات الممنوحة لأديرتهم، وقد ظهر اسم إليانور كشاهد عيان مع ريتشارد لوسي وتوماس بيكت على هذه البراءات التي منحت إلى الأديرة والكنائس.

كذلك دعا الملك البارونات وأساقفة المملكة لأداء يمين الولاء من قبل ابنه الأكبر وليام ثم إبنه الأصغر هنري في حالة وفاة وليام[5].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 170 – 171.
Kelly, Eleanor, P. 94.
Alison, Eleanor, P. 121.

(2) ولد توماس بيكت في مدينة لندن من زواج شرعي ومن أبوين شرعيين كان والده جلبرت يعمل أحيانا عمدة لندن أما والدته فكانت تدعى ماتيلدا وكانا من الطبقة المتوسطة تعلم توماس في دير ميرتون Merton ودرس أيضا في باريس عندما كانت إليانور ملكة لفرنسا.
شارك توماس بعد عودته من باريس في بعض شئون مدينة لندن حيث صار كاتبا ومحاسبا لدى عمدة المدينة وقد زكاه اثنان من أصدقاء والده لدى ثيوبولد رئيس أساقفة كانتربري، حيث أصبح توماس أحد موظفيه وخلال عشر سنوات قضاها توماس في خدمة ثيوبولد استطاع أن يثبت مهارته مما أدى إلى ارتفاع مكانته حيث أصبح مستشار ثيوبولد والمبعوث الدبلوماسي لديه وفي عام 1154م أصبح توماس رئيس شمامسة كانتربري ثم أصبح مستشارا للملك هنري عام 1155م. انظر:
وليام فتز ستيفن: حياة القديس توماس بيكت، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص468-469.
Meade, Eleanor, PP. 172 – 173. Kelly, Eleanor, PP. 96 – 97.
Owen, Eleanor, P. 42, Alison, Eleanor, P. 142.
Dismond, Eleanor, P. 95, FFiona, Eleanor, P. 94 – 95.

(3) وليام فتز ستيفن: حياة القديس توماس بيكت، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص469.
Meade, Eleanor, P. 172. Kelly, Eleanor, P. 96 .
Owen, Eleanor, P. 42, Alison, Eleanor, PP. 140 - 142

(4) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص479، روجر اوف وندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص200
Meade, Eleanor, P. 173.

(5) Meade, Eleanor, P. 173 Dismond, Eleanor, P. 82.

شعرت إليانور بسعادة عارمة بعد إنجابها ابنها الثاني حيث تأكدت مكانتها من كملكة انجلترا بعد قلقها واضطرابها وحيرتها في فرنسا. كذلك لم تعد تشعر بأي ملل أو سأم وسط جو النشاط والحركة الذي أوجده زوجها والذي عرف بقوته ونشاطه والذي أسعدها كثيرا.

لم تفضل إليانور البقاء في قصر بيرموندس، لأنها رأت أنه ليس المكان المناسب لذلك استطاعت إقناع هنري بإعادة بناء قصر ويست منستر الملكي[1] Westminister وقد عهد هنري بتلك المهمة إلى توماس بيكت الذي نفذها بحماس شديد مما جعل القصر معدا للإقامة فيه خلال فترة قصيرة حيث أنجز توماس مهمته خلال خمسين يوما في حين أن إنجاز تلك المهمة كان يمكن أن تستغرق سنوات وانتقلت إليانور وعائلتها في أوائل شهر يونيو عام 1155م إلى قصر ويست منستر[2] للإقامة به[3].

توطدت العلاقة بين توماس بيكيت والملك إلى حد كبير بعد توليه منصبه فقد كتب روجر من هوفيدن Roger of Hufeden عن العلاقة الوطيدة بينهما، فذكر أن الملك منحه عائدات كثيرة وأنه أحبه واحترمه[4] وأصبح ملازما له فلم يخط الملك خطوة بدونه، فقد أكلا سويا ولعبا سويا مثل الأطفال حتى عندما كان الملك يسافر خارج البلاد كان يرافقه توماس.

أثرت تلك العلاقة الوثيقة بين الملك ومستشاره على إليانور التي رأت أن الملك يجب ألا يتخذ صديقا إلا نفسه، وكانت مستاءة وغاضبة من الدور المريب الذي لعبه توماس في حياة الملك هنري.

تضخمت ثروة توماس بيكيت لما أغدقه عليه الملك من منح وعطايا حتى وصل الأمر أنه بدأ يرتدي ملابس فاخرة عكس الملك الذي كان يرتدي ملابس متواضعة كما أصبح منزله مركزا لاستقبال الشخصيات المهمة الدينية والعلمانية، منهم الفرسان والنبلاء الذين كان يقوم على خدمتهم بنفسه، وبذلك تشابه منزله مع القصر الملكي من ناحية الروعة والفخامة، وتحدث بذلك الملوك الأجانب[5].

تأثرت إليانور بما وصلت إليه مكانة بيكيت، بل ما وصل إليه قصره فلم يصبح لها المكانة التي أرادتها، بل انسحب كل ذلك إلى قصر بيكيت الذي فضله الكبار للإقامة ولتناول وجبات طعامهم وتبادل الحديث معه، حتى الملك نفسه كان يفضل مرافقته والجلوس معه عن البقاء مع إليانور.

وسواء اعترفت إليانور أم لم تعترف فقد كان بيكيت شخصية مرحة وكانت لديه القدرة على تغيير حالة الغضب التي كانت تعتري الملك أحيانا وإعادته إلى حالته الطبيعية.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 174, Kelly, Eleanor, P. 98.
Alison, Eleanor, P. 144. Dismond, Eleanor, P. 86.

(2) ضم قصر ويست منستر بعد تجديده قصران القصر الجديد وهو مقر العائلة المالكة والذي كان محاطا بالبساتين والحدائق، أما القصر القديم، فقد استخدم بصورة رئيسية لمكاتب عمل الموظفين الحكوميين وكمسكن للخدم بالإضافة إلى فناء واسع كان يعج بالعساكر والضباط عند تواجد الملك داخل البلاد. انظر:
Meade, Eleanor, P. 174, Dismond, Eleanor, P. 86.

(3) Hall, Hubert, court life under the plantagenets, London, 1899, PP. 57 – 59.
Meade, Eleanor, P. 174, Alison, Eleanor, P. 144.

(4) History of England, Annals. Edited and translated by Henry. T., 2 Vols, London,, 1853, Vol, 1. P. 20.

(5) Meade, Eleanor, P. 175 – 6, Alison, Eleanor, P. 143.
Dismond, Eleanor, P. 95 – 96.

بالرغم من غضب إليانور وكراهيتها الشديدة لتوماس بيكيت وغيرتها من علاقة زوجها الوطيدة وحبه له إلا أنها لم تظهر أي عداوة تجاهه ومن ناحية أخرى فإن توماس بيكيت كان يكره إليانور وكان مؤمنا بوجهة نظر الكنيسة فيها بأنها امرأة متحررة وسيئة السمعة فقد سمع عن سلوكها الطائش في أنطاكية من صديقه حنا السالسبوري الذي كان حاضرا مع البابا إيوجين الثالث (1145-1153م) عندما توجهت إليانور إليه ليساعدها في الحصول على الطلاق من زوجها لويس السابع[1] ورغم كراهيته لها، إلا أنه أيضا لم يظهر أي عداوة ناحيتها.

وبذلك نرى أن إليانور قد استاءت من المكانة التي خص بها الملك مستشاره لكنها تظاهرت باللامبالاة من تزايد ثروة توماس وقوته.

ونتيجة تواجد توماس بصورة دائمة بجانب الملك فقد أتاح لها ذلك فرصة مراقبته ورغم كراهيتها إلا أن ذلك لم يمنعها من تحليل شخصيته تحليلا دقيقا فقد كنت على يقين مثل غيرها من إخلاص وحب الملك لمستشاره لكن ما أثار اهتمامها هو مشاعره ناحية الملك.

اكتشفت إليانور أن توماس أخفى وراء مشاعر الود التي أظهرها للملك نفاقا ورياء وأن صداقة توماس لهنري كانت من أجل المحافظة على مكانته ووظيفته لديه، لذلك فإن الحب الذي أظهره للملك كان ضرورة للبقاء والاستمرار في مركزه المرموق ولم يكن توماس بيكت المنافس الوحيد لإليانور في اهتمامات زوجها فقد اكتشفت أن هنري لم يكن زوجا مخلصا بل خائنا.

لقد قضى هنري كل حياته وسط العاهرات على طول نهر التايمز، حيث كان يبحث في الحانات عن النساء الفاسدات، كما كان يصطحبهن معه خلال رحلاته في مختلف أنحاء البلاد، وكانت حاشية هنري تعج بالساقطات وصناع الكعك الذي يعملون على جلب هؤلاء السيدات إلى الملك.

وفي وقت لاحق من وصول إليانور إلى انجلترا، اكتشفت وجود ابنين غير شرعيين للملك هنري: الأول يدعى جيفري وهو ابن إحدى الباغيات، والثاني يدعى وليام وهو ابن غير شرعي أيضا.

اعترف هنري بجيفري إبنا له، وأحضره ليعيش معه في ويست منستر حيث وضع تحت رعاية إليانور، التي تحملت انضمامه للعائلة المالكة كما عاملته معاملة حسنة حتى تحظى بحب وإعجاب هنري.

على أية حال فإن وجود جيفري في القصر كان بقرار من الملك هنري ولم يكن لدى إليانور أى اختيار لقبوله أو رفضه[2].

كانت خيانة هنري لزوجته سببا في إحراجها الدائم، وإضعاف مكانتها على البلاد كما كانت العامل الأساسي في تغير وتوتر العلاقة بين الزوجين، بل وانقلاب الأبناء على أبيهم نتيجة لتحريض أمهم لهم، وهذا ما سيتضح فيما بعد[3].

سافرت إليانور وأطفالها إلى زوجها هنري في وينشستر في سبتمبر عام 1155م، حيث كان يمضي الصيف هناك لممارسة هواية الصيد المفضلة لديه وبصحبته توماس بيكيت[4].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 177. Alison, Eleanor, PP. 143 – 144.
Dismond, Eleanor, P. 96.
(2) Meade, Eleanor, P. 178.
(3) Medea, Eleanor, P. 179.
(4) Gerald of wales: the Autobiography of Giraldus Cambrensis. Edited and translated by H.E. Butler. London: Jonathan capes, 1937, P. 214
Alison, Eleanor, P. 144.

بعد أن أمضى هنري الثاني عدة شهور استمتع خلالها بالراحة، أصبح مستعدا لممارسة عمله، لذلك تسلم في 29 سبتمبر 1155م التقارير السنوية من الخزينة الملكية لرغبته في مراجعة عائدات التاج خلال الشهور الأولى من حكمه[1].

لذلك انتهز هذه الفرصة وقام باستدعاء جميع باروناته لمناقشتهم في فكرة ظلت تسيطر عليه طوال الصف، فقد كان يفكر في القيام بحملة لغزو أيرلنده وكانت هذه هي المرة الأولى التي سمعت فيها إليانور بهذا الموضوع. ومع ذلك عملت على تشجيعه، لكن دورها تقلص بوصول الملكة الأم ماتيلدة، والتي كان لها تأثير كبير على ابنها حيث هيمنت على المجلس المعقود في المدينة ونصحته بعدم تنفيذ هذه الحملة لفقر أيرلنده، وعدم جدوى فتحها وقامت الملكة الأم بإبلاغ هنري بأمر أخيه جيفري الذي بدأ يتحرك ضده طالبا زيادة حجم أملاكه، مدعيا أن والده أوصى بأن يتولى جيفري مقاطعة أنجو Anjou عندما ينجح هنري في تولي حكم انجلترا، وقد رفض هنري تنفيذ رغبة والده لذلك استعد لمحاربة أخيه وجهز قلاعه للحرب.

لم تشارك إليانور زوجها وأمه مشكلة الأخ جيفري فهو موضوع يخصها وحدها خاصة وأن إليانور لا تستطيع ممارسة سلطتها في تواجد ماتيلدة لكنها استغلت فرصة اجتماع الخزينة العامة لإعلان استقلالها المادي عن زوجها حيث ابتكرت إليانور نظاما يقضي بأن أي أموال تدخل في حوزة زوجها يكون لها نصيب فيها[2].

وتؤكد السجلات الرسمية على حجم الأموال التي حصلتها إليانور من دخل مقاطعتها، فلم تعتمد إليانور في جمع دخل مقاطعتها على زوجها أو مستشاره ريتشارد لوس بل كانت ترسل الموظفين الذين عينتهم لجمع هذه الأموال في الوقت المحدد لاجتماع الخزينة العامة لجمع مصادر دخل المملكة[3].

غادرت ماتيلدة وينشستر بينما بقى هنري وإليانور فيها طوال خريف 1156م للاحتفال بعيد الميلاد هناك وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة لقدوم ماتيلدة إلى إنجلترا بعد تولي هنري الحكم.

دور الملكة إليانور في إدارة شئون انجلترا أثناء غياب زوجها :

توقف هنري خلال هذه الفترة عن أعماله الحربية، وقرر ضرورة السفر لتسوية مشكلة أخيه بنفسه لذلك وجدت إليانور أن هذه فرصة مناسبة لتقوم بزيارة أكوتين لكن هنري لم يخطط لذلك فقد رغب في إسناد حكم انجلترا إلى مستشاره ريتشارد لوسي أثناء غيابه لكنه في نفس الوقت كان قد وعد إليانور أن تنوب عنه في حكم البلاد خلال غيابه لأنه رأى أن مملكته شاسعة مما يستحيل معه أن يشرف عليها شخص واحد كما أن هنري لا يأمن مساعديه في الإنابة عنه خلال غيابه، لذلك فضل ترك أحد أفراد عائلته في موقع الأحداث[4] فلم يكن اختيار هنري لإليانور لتكون نائبة عنه رغبة منه في تنفيذ رغبتها وإنما كان لخدمة مصلحته الشخصية.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 179.
(2) Meade, Eleanor, PP. 179 – 180. Alison, Eleanor, PP. 128 – 129 – 145.
(3) Richardson, H.G. "Letters and charters of Eleanor of Aqutiane" English Historical Review, April, 1959, P. 209.
(4) Meade, Eleanor, PP. 179 – 180. Alison, Eleanor, P. 145.

مارست إليانور سلطتها بكفاءة كبيرة دون أحداث شغب أو مشاكل، لكن نفقاتها زادت بدرجة كبيرة لأنها كانت لها صلاحية الصرف من الخزينة العامة، رغم أن ريتشارد لوسي كان هو المسئول الأول عن ذلك، وأثار نجاح إليانور في إدارة شئون انجلترا خلال غياب هنري إعجاب الإنجليز الذين لمسوا مدى قوة شخصيتها[1].

شارك ريتشارد لوسي إليانور في جميع الأعمال، ومعهم مستشارها الخاص ماثيو Matthew وهناك العديد من المكاتبات الرسمية التي أصدرتها إليانور ولا يزال البعض منها باقيا ومنها الرسالة التي بعثت بها إلى جون رالف Gohn Ralph مدير شرطة لندن بخصوص الشكوى التي قدمها رهبان المدينة حول انتزاع أراضيهم بدون وجه حق والتي جاءت كالآتي:

"من إليانور ملكة انجلترا إلى جون فيزرالف Gohn Fitz Ralph مدير شرطة لندن، تحية، إن رهبان مدينة ريدنج[2] Reading

(1) Meade, Eleanor, P. 181. Alison, Eleanor, P. 126.

(2) ريدنج مدينة انجليزية، تعد أهم المدن الصناعية في مقاطعة يروكشير – تقع عند ملتقى نهري التايمز وكنيت Kennet وعلى بعد واحد وستين كيلو مترا إلى الغرب من مدينة لندن . انظر:
Moore, op. cit, P. 647.

تقدموا إلي بشكوى بخصوص الأراضي التي انتزعت منهم في لندن قهرا، لذا فإني آمرك بأن تحقق في تلك المسألة بسرعة، وإذا اكتشفت أن ما ذكروه صحيحا، فلابد من إعادة هذه الأراضي إليهم فورا وإذا لم تنفذ ذلك، فستجبر على ذلك بأمر الملك"[1].

اهتمت إليانور خلال غياب هنري بإدارة شئون المملكة فقط فلم يكن لديها أي وقت لإضاعته في اللهو أو مع الشعراء الجائلين ولا في الاحتفالات وإنما في العمل الدائب فقط، ومع ذلك فقد عاشت إليانور في مستوى مادي مرتفع فظلت تنفق ببذخ وإسراف على كافة احتياجاتها هي وعائلتها، ففي خلال السنوات الأربع الأولى التي قضتها في انجلترا سجلت المخطوطات إنفاقها كميات كبيرة من أموال الخزينة لأخيها الغير شقيق إضافة إلى الأموال التي أنفقت على الاستيراد المستمر للنبيذ الجيد الذي اشتهرت بوردو Bordeaux بإنتاجه[2].

عندما كان هنري يحارب أخيه في أنجو كانت إليانور مشغولة بمرض ابنها الأكبر وليام الذي كان في الثانية من عمره حيث كان يعاني من الحمى المفرطة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت والتي كانت السبب في وفاة الكثير من الأطفال ومنهم هذا الابن الذي سببت وفاته حزنا شديدا للملك والملكة لأنه ابنهما الأكبر[3].

وفي يونيو عام 1156م، بينما كانت إليانور في حداد على وفاة ولدها وضعت طفلة أخرى أسموها ماتيلدة تكريما لجدتها الإمبراطورة ماتيلدة[4]. ومع ذلك خافت إليانور من الإقامة في انجلترا ورغبت في العودة إلى وطنها أكوتين[5].

وبعد مرور عدة أسابيع من ولادة ماتيلدة وفي يوليو من عام 1156م حزمت إليانور وعائلتها أمتعتهم وسحبت مبلغا كبيرا من المال من الخزينة العامة وعبرت القناة متجهة إلى نورمنديا، ثم التقت هي وأطفالها بزوجها هنري في مقاطعة أنجو في التاسع والعشرين من أغسطس وبعدها عادت العائلة كلها إلى أكوتين، فقد وافق هنري على سفر زوجته حتى تخرج من حالة الحزن التي كانت تعيشها[6]، وكذلك رغبته في التقرب من أهل أكوتين ومحاولة كسب ودهم حتى يحد من ثورتهم وكراهيتهم له.

استقبل أهل أكوتين إليانور بسعادة وترحاب شديد بينما عاملوا هنري بازدراء الأمر الذي أدى إلى غضبه وتصميه على انتزاع حقوقه الإقطاعية من أتباع إليانور[7]، فقام هنري

---

(1) Caenegem, R, C. Royal writes in England from the conquest to Glanvill London: Bernard Quaritch, 1959, P. 460.
Meade, Eleanor, P. 181.
Dismond, Eleanor, P. 93, Alison, Eleanor, P. 93.
(2) Meade, Eleanor, P. 182.
(3) Meade, Eleanor, P. 183, Alison, Eleanor, P. 146.
Kelly, Eleanor, P. 103, Owen, Eleanor, P. 34.
(4) The chronicle of Florence of Worcester, P. 287.
(5) Meade, Eleanor, P. 183. Kelly, Eleanor, P. 103.
(6) Eyton, Robert, W. Court, Household and tinerary of king Henrs 11 London, 1878, P. 18, Meadia, Eleanor, PP. 183 – 4.
(7) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص202-203.
Alison, Eleanor, P. 146, Dismond, Eleanor, P. 97.
Meade, Eleanor, PP. 183 – 184.

بطرد الكونت ثوارس Thouars من أراضيه وحطم قلعته دون حق لأنه ساعد أخيه جيفري بلانتجنت في تمرده الأخير ضده. والحقيقة أنه أراد أن يدعم حقوقه الإقطاعية في الجنوب.

اتجهت العائلة المالكة إلى بوردو للاحتفال بعيد الميلاد هناك حيث أظهر أتباع إليانور الولاء إلى هنري بالإضافة إلى أطفاله لكن هنري أصر على أخذ رهائن منهم لضمان التزامهم بالولاء والتبعية له. وكانت إليانور تعلم أن سياسة هنري التي يريد تطبيقها في مقاطعاتها لن تلقى قبولا لدى أتباعها، فبرغم نجاح سياسة حكومة هنري المركزية في انجلترا، وأنجومين إلا أن أتباعها في الجنوب لن يقبلوها حيث كان الحكم الذاتي لدى البارونات شيئا تقليديا، علاوة على ذلك، فإن سياسة هنري لتعيين الأجانب في المناصب الحكومية أثار معارضة أتباعها.

عادت إليانور إلى انجلترا في فبراير 1157م، واختارت خالها رالف دي فاي ليكون نائبا عنها في أكوتين خلال فترة غيابها، لكن هنري كان يرى أن اختيار رالف دي فاي ليس كافيا للإشراف على الدوقية بمفرده ومع ذلك لم يبق هنري بجانب زوجته لانشغاله بأمور أملاكه، ولم يقدم إليها إلا بعد عيد الفصح، وبعدها استعد للقيام بحملة على ويلز[1] Wales[2].

بعد عقد الهدنة مع حاكم ويلز أسرع هنري عائدا إلى تشيستر[3] Chester حيث قام بجولة عامة في كافة أنحاء مملكته وبعدها استدعى أتباعه للقدوم إليه في هذه المدينة فقدم إليه توماس بيكيت، وريتشارد لوسي، وجمع من الموظفين، بينما بقيت إليانور بسبب ظروف حملها في ويست منستر West minister .

شعرت إليانور في هذه الفترة بإهمال زوجها لها وخشيت أن تموت بمفردها أثناء ولادة طفلها لذلك تركت القصر واتجهت إلى اكسفورد[4] Oxford حيث انضمت إلى حاشية الملك[5].

في 8 سبتمبر عام 1157م أنجبت إليانور ابنا آخر أطلقت عليه اسم ريتشارد تكريما لمستشار هنري ريتشارد لوسي الذي احترمته هي وزوجها[6].

---

(1) ويلز مقاطعة إنجليزية تقع إلى الجنوب من برستول Bristol وأهم ما يميزها هي العمارة الدينية. انظر:

Moore, Encylopidia, P. 851.

(2) Meade, Eleanor, P. 185. Alison, Eleanor, P. 146.

عن حروب هنري الثاني في مقاطعة ويلز انظر:

William of Newburgh, History Rerum, Vol, 1, P. 107.

Meade, Eleanor, P. 186.

Alison, Eleanor, P. 146.

(3) تشستر Chester: مدينة إنجليزية تقع على الضفة اليمنى لنهر دي Deas وهي من المراكز الهامة لخطوط السكك الحديدية وكانت آخر المدن التي سقطت في يد النورمان عام 1066م.

Moore, Encylopidia, P. 173.

(4) اكسفورد Oxford مدينة إنجليزية تقع على نهر التايمز إلى الغرب والشمال الغربي من لندن وبها أشهر الجامعات الإنجليزية. انظر:

Moore, Enclopidia, PP. 590 – 591.

(5) Meade, Eleanor, P. 186. Alison, Eleanor, PP. 146 – 147.

(6) The chronicle of Florence of worester, P. 287.

روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص203.

Eyron, Court, Houshold, P. 30. Kelly, Eleanor, P. 103, Alison, Eleanor, P. 147.

Owen, Eleanor, P. 46, Meade, Eleanor, P. 187.

حملت إليانور لابنها الجديد شعورا خاصا جعل هنري متأكدا من أن ريتشارد سيكون الدوق المستقبلي لأكوتين وكونتا لبواتييه[1]، فقد كانت هناك نبوءة تنسب إلى ميرلن الساحرة Merlin the magican والتي كانت نبوءاتها إنذارات لعائلة هنري الثاني.

ركزت النبوءة على العلاقة الوثيقة بين إليانور وابنها الثالث المولد: نسر العهد.

"نسر العهد المنقوض سيبتهج في عشه الثالث"[2].

إن الذين تخصصوا في ترجمة النبوءات أعلنوا أن النسر يرمز به لإليانور لأنها نشرت أجنحتها في أكثر من بلدين فرنسا وانجلترا وأن عشها الثالث هو ريتشارد الذي كافح من أجل إعلاء وتمجيد اسم والدته[3].

في أواخر عام 1157م وأوائل 1158م قام هنري وإليانور بجولة شاملة في مختلف أنحاء المملكة، حيث خطط لتلك الرحلة بدقة وحدد لكل فرد من أفراد حاشيته مهمة محددة.

كانت تلك الرحلة تجربة مثيرة لإليانور لأن ذكرياتها السعيدة ارتبطت برحلات طفولتها لكن رحلتها مع هنري اختلفت تماما عن تلك الرحلات لأنه ما أن يصل إلى منطقة من المناطق حتى يغير رأيه فجأة ويأمر بالاستعداد للانتقال إلى مكان آخر مما أدى إلى غضب إليانور والحاشية لما تكبدوه من تعب وإرهاق، لأن هنري اعتاد على الرحلات الشاقة أما إليانور فقد عانت من مصاعب السفر ومن الطعام السئ الذي اضطروا لتناوله[4].

استمر الموكب الملكي في الرحلة حتى بداية شهر ديسمبر 1157م حيث وصلوا إلى شمال انجلترا وقام هنري وحاشيته بالاحتفال بعيد الميلاد في لينكولن[5] Lincoln.

وقد بدأوا في التجول في الجزر البريطانية حتى وصلوا إلى مدينة وورسستر Worcester عند حلول عيد الفصح، وفي الاحتفال الديني قرر هنري وإليانور خلع تاجيهما الملكي ووضعوهما على مذبح الكنيسة وأقسما على عدم وضعهما على رأسيهما، بل تبرعا بهما للكنيسة[6].

شعرت إليانور بفتور القوة والعزيمة خلال تلك الرحلة فرغم التجربة والخبرة التي اكتسبتها لكنها لم تجد المتعة أو الراحة التي توقعتها. لقد اشتاقت إليانور خلال تلك الرحلة للنعيم والترف الذي اعتادت على العيش فيه، فقد ظلت تحلم طوال الثمانية أشهر وهي فترة الرحلة بالعودة إلى

---

(1) Meade, Elranor, P. 187, Alison, P. 147.

(2) كتب جيفري مؤلف كتاب (تاريخ ملوك بريطانيا) عن شخصية تدعى ميرلن Merlin وهي عرافة وساحرة وقد تنبأت تلك الشخصية بمستقبل التاريخ السياسي لبريطانيا ومع ذلك فإن هذا تم بطريقة غامضة للغاية ويعتقد بأن نبوءة ميرلن بشأن (نسر العهد المنقوض) ربما تشير إلى إليانور. انظر الوثيقة رقم (3) في البحث. لمزيد من التفاصيل انظر:
FFiona, Eleanor, P. 75. Meade, Eleanor, P. 187. Alison, Eleanor, P. 147.

(3) Meade, Eleanor, P. 187. Alison, Eleanor, P. 147.

(4) Meade, Eleanor, PP. 187 – 9, Owen, Eleanor, P. 46.
Alison, Eleanor, P. 147.

(5) لينكولن مدينة إنجليزية فهي ليندوم كولوني Lindum Colonia قديما. تقع في مقاطعة لينكولن شير Lincoln shire على نهر ويثام Witham عند التقاءه بنهر تيل Til انظر:
Moore W.G, Encylopidia, P. 458.

(6) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص480، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص203.
Meade, Eleanor, P. 189, Dismond, Eleanor, P. 93.
Alison, Eleanor, P. 147.

حيث الحياة المترفة التي اعتادت عليها، خاصة وأنها حملت طفلها الخامس مما أدى إلى زيادة إرهاقها.

وصل هنري وإليانور إلى وينشستر قبل نهاية يوليو سنة 1158م حيث أقامت بالمدينة فترة قصيرة للراحة بعد عناء السفر. أما هنري فغادر المدينة في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس عام 1158م وبعده اتجهت إليانور إلى قصرها في ويست منستر حيث تولت شئون المملكة خلال غياب زوجها[1]، وأنجبت خلال هذه الفترة ابنها جيفري في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة 1158م أوردت الحوليات الملكية ثبتا ضخما من الأعمال التي قامت بها إليانور وأنجزتها في خريف هذا العام وأثناء غياب زوجها حتى أنها اضطرت أحيانا إلى ترك لندن والسفر إلى مدن أخرى[2]، ولم تشغل نفسها مطلقا بهواياتها المفضلة أو بالشعراء الجائلين، بل كان العمل هو هدفها فقط حتى قيل أنها حلت محل زوجها في غيابه، وأنجزت مهاما تصعب على الملك هنري[3].

تعرضت إليانور لاتهامات منها أنها أساءت تربية أبنائها لما فيهم من صفات سيئة، وهذه تهمة باطلة لأن الأم لم ينط بها التربية وإنما عهد بذلك إلى مربيات متخصصات في القصر لذلك فأثرها غير واضح، كما أن هنري أيضا كان بعيدا عنهم وكان غائبا دائما، وإذا تواجد فإنه يعاملهم بقسوة وعنف حتى يضمن استقامتهم.

على أية حال، فإن أطفاله لم يكونوا بعيدين عن تفكيره[4] وهذا أيضا ربما يكون الذي قصده جيرالد الويلزي عندما كتب يقول "لقد أنفق هنري بإسراف على أطفاله الشرعيين أكثر من أي أب آخر، لكن في سنواتهم اللاحقة عاملهم بازدراء مثل زوج الأم"[5].

إن هذا الاتهام يعتبر اتهاما باطلا لأن جميع المشاريع السياسية التي كان يقوم بها هنري والتوسعات والحروب ليست لصالحه ولكن لصالح أبنائه أيضا، ومما يؤكد ذلك الخطة التي رسمها لضم العرش الفرنسي إلى التبعية للملكية الإنجليزية مستغلا الظروف التي يعيشها الملك لويس السابع Louis VII طليق زوجته إليانور فقد تزوج من الأميرة كونستانس القشتالية لكنها لم تنجب وريثا للعرش الفرنسي وإنما أنجبت فتاة تدعى مارجريت وتصور هنري أن لويس لن يتمكن من إنجاب وريث ذكر بعد ذلك.

لذا اقترح هنري أن يزوج ابنه الكبير من مارجريت ابنة لويس وتلك الخطة الدبلوماسية التي تمنى هنري تنفيذها كان من شأنها ضم فرنسا إلى انجلترا بعد أن يصبح ابنه هنري الصغير ملكا على كل من انجلترا وفرنسا.

كانت هذه المهمة صعبة لما بين لويس السابع وهنري وإليانور من علاقات عدائية، لذلك يتطلب الأمر إسناد الموضوع إلى شخصية تقوم بمهمة المفاوضة على إتمام الزواج لذلك اختار هنري لتنفيذ تلك المهمة توماس بيكيت الذي تتوافر فيه مقومات تنفيذها.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 190.
(2) Chronicle of Florence, P. 287.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص204.
(3) Eyton, Robert, court, P.42.
Meade, Eleanor, P. 190. Kelly, Eleanor, P. 103, Alison, Eleanor, P. 149.
(4) Meade, Eleanor, PP. 190 – 191, Kelly, Eleanor, P. 106.
(5) The Autobiography of Giraldus Cabrensis, Edited and translated by H.E. Butler. London, Jonathan capes, 1937, P. 215.

وفي ربيع عام 1157م سافر بيكيت إلى باريس وبرفقته حاشية كبيرة أعدت خصيصا لإثارة إعجاب واندهاش الملك لويس ورجال قصره[1]، وكان الملك هنري هو الذي اختار بيكيت لهذه المهمة أما إعداد الحاشية الضخمة فقد كانت مهمة الملكة إليانور وعندما وصل موكب بيكيت إلى باريس في يونيو عام 1158م خرج الناس من منازلهم لمشاهدته وهو يسير في موكب به ثمان عربات تحمل صناديق الذهب والفضة والمعادن النفيسة، كما ضمت الحاشية عددا من النبلاء والفرسان والمستشارين الذين ارتدوا ملابس تمثل رتبا ومناصب كل واحد منهم وسار بيكيت وسط الموكب، حيث بدا كالملك بالملابس الأنيقة والفاخرة التي كان يرتديها.

انبهر الفرنجة أهل البلاد بهذا الموكب الذي لم يروا مثله من قبل كما تساءلوا بينهم من يكون هذا الرجل الذي يترأس هذا الموكب وإن كان بهذه الأناقة فكيف يكون ملكهم[2].

شعرت إليانور بالغبطة لما رآه الفرنسيون في الإنجليز وكان هذا ما تتمناه حتى أن لويس نفسه اعتقد أن زوجته السابقة تعيش كإمبراطورة بيزنطية، إن مهمة بيكيت في فرنسا كانت مهمة رسمية لكن إليانور كانت تريد من وراء هذا الموكب الرائع الذي قامت بتجهيزه إرسال رسالة شخصية إلى لويس حتى يرى مدى المستوى الرفيع الذي تعيش فيه دون الحاجة إليه[3].

لقد أثار لويس إعجاب شعبه بالاستعدادات التي قام بها للترحيب بضيوفه فقد رتب لاستقبالهم قاعة كبيرة وجديدة وأمر بإغلاق أسواق باريس حتى لا ينفق ضيوفه أي أموال في شراء أي شئ من عاصمته، لكن بيكيت الذي كان لديه الأوامر بالبذل والإنفاق فقد أرسل رجاله إلى الضواحي الباريسية لشراء ما يلزمهم.

وعندما قام لويس بدعوة بيكيت وحاشيته إلى مأدبة طعام قرر بيكيت دعوة لويس إلى مأدبة أكبر وأفخم جعلت الفرنجة يتحدثون عنها لمدة طويلة.

قام بيكيت بتوزيع الهدايا في جميع أنحاء باريس من ملابس وجواهر حتى فرغت جميع الصناديق كما قام بتسديد نفقات الطلاب الإنجليز الذين كانوا يدرسون في جامعة باريس، وكان أهم ما حققه هو موافقة الملك لويس على مشروع الخطبة[4]. لذلك قرر هنري إرسال إليانور إلى ويست منستر لإدارة شئون المملكة بينما أسرع هو إلى فيكسين Vexin لترتيب تفاصيل التحالف الملكي حيث التقى بلويس هناك وعقد الإثنان مؤتمر سلام بين المملكتين وذلك في آخر صيف 1158م[5].

في سبتمبر من نفس العام، زار هنري مدينة باريس للمرة الأولى منذ سبع سنوات حيث استقبل استقبالا حافلا من قبل لويس وزوجته كونستانس في الوقت الذي لم يقلد بيكيت في مظهره وملابسه ولا في حاشيته، بل ارتدى ملابس بسيطة ورافقه قلة من رجاله حتى يظهر نفسه كتابع إقطاعي لسيده وفي المقابل أظهر لويس صفته الدينية فقام باصطحاب هنري لزيارة الكنائس الباريسية.

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 191 – 192. Kelly, Eleanor, P. 46.
Alison, Eleanor, P. 148. Dismond, Eleanor, PP. 97 – 98.

(2) رالف اوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص480، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص204.
Meade, Eleanor, P. 191, Kelly, Eleanor, P. 107.

(3) Meade, Eleanor, P. 193, Alison, Eleanor, P. 148.

(4) Meade, Eleanor, P. 193.

(5) Owen, Eleanor, P. 47, Alison, Eleanor, PP. 148 – 149.
Dismond, Eleanor, P. 98.

اتسم اللقاء بين لويس وهنري بالانسجام والود لكن إذا حضرت إليانور هذا اللقاء فستكون النتيجة عكسية لذلك لم يرغب هنري في تواجدها لأن مثل هذه المواجهة بين الملكين وبين المرأة التي كانت محور اهتمامها كان سيؤثر سلبا على المقابلة.

وخلال المفاوضات التي تمت بين الملكين وافق لويس على كل التغييرات التي قدمها هنري والتي كان أهمها تقديم لويس بلدة فيكسين وثلاث قلاع أخرى كصداق لابنته والتي كان جيفري والد الملك هنري قد تنازل عنها للملك لويس مقابل اعترافه بهنري دوقا على نورمنديا لم يعترض لويس على أي من مقترحات هنري سوى أمر واحد وهو قيام إليانور بالإشراف على تربية مارجريت لأن إليانور في نظره ليست أمينة ولا أهلا للقيام بهذه المهمة.

لم يرغب هنري في فشل المشروع لذلك اقترح على لويس أن يعهد إلى روبرت نيوبيرة Robert Newburgh رئيس بلاط هنري بتربيتها والذي تقع قلعته على الحدود الفرنسية، ووافق الملك لويس على الاقتراح لثقته في روبرت كذلك غادر هنري باريس وبصحبته الأميرة مارجريت[1].

انتهت العلاقات بين الملكين بالود، وفي نوفمبر عام 1158م قرر لويس القيام برحلة حج إلى أحد الأديرة في نورمنديا، وطلب من هنري السماح له بعبور أراضيه، فوافق ورافقه إلى الدير حيث استمع معه إلى القداس الديني وتناولا العشاء معا في غرفة الطعام مع الرهبان.

بعد أن اطمأن لويس على ابنته وعلى الترتيبات الخاصة لها عاد إلى باريس محملا بالهدايا وهو مقتنع بأن مشاكله مع انجلترا انتهت إلى الأبد، لكن هذا الانطباع لم يدم طويلا. تابعت إليانور في لندن التطورات التي حدثت بين زوجها وطليقها باهتمام شديد، وشعرت بالرضى للنتيجة التي وصل إليها هنري مع لويس حيث ساد السلام في الداخل وفي الخارج وتوقف الصراع الذي احتدم نتيجة لزواجها من هنري[2].

بعد تحسن العلاقات بين انجلترا وفرنسا واستقرار الوضع بينهما رأت إليانور مدى تلهف هنري وتحمسه لضم أراضي جديدة لمملكته، لذلك فكرت في استرداد مقاطعة تولوز، التي خرجت من تبعية عائلتها منذ خمسين عاما.

رحب هنري بفكرة إليانور، ورأى أنها ميراث شرعي ومن ثم بدأ يفكر في كيفية استردادها[3].

كان الكونت ريموند الخامس Raymond V حاكم مقاطعة تولوز متزوجا من كونستانس أخت الملك لويس السابع ملك فرنسا وأنجبت منه ثلاثة أبناء ذكور، ولذا فإن ادعاء إليانور الحق في امتلاك تولوز من شأنه أن يحرم ريموند وعائلته منها، بل سيؤدي إلى غضب لويس الذي سينحاز إلى أخته الأمر الذي سيؤثر على السلام القائم بين انجلترا وفرنسا لذلك أصبح كل من هنري وإليانور في حيرة من أمرهما، فهو لا يمكنه التخلي عن هذه المقاطعة كما أنه لا يرغب في إفساد السلام القائم على البلدين.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 194. Kelly, Eleanor, PP. 106 – 108.
Alison, Eleanor, P. 149. Dismond, Eleanor, PP. 98.

(2) Robert of Torigni, Chroncle, Edited by Richord Howlett. Rolls series 82. Vol. 4, P. 198. Meade, Eleanor, P. 195. Kelly, Eleanor, P. 108. Alison, Eleanor, P. 149.

(3) Meade, Eleanor, P. 196. Kelly, Eleanor, P. 109.
Alison, Eleanor, P. 160. Dismond, Eleanor, P. 98.

كانت الأمور السياسية في تولوز آنذاك متوترة لاندلاع الحرب بين حاكمها وكونت برشلونة رايموند برينجار Raymond Bringar كما أن أتباع ريموند حاكم تولوز كانوا مستائين منه[1].

لم يعلن هنري خطته لغزو تولوز بشكل صريح لذلك عقد تحالفا مع كونت برشلونة في أبريل عام 1159م ولتأكيد التحالف خطب ابنة ريموند إلى ابنه ريتشارد وبعدها أرسل هنري رسالة إلى ريموند حاكم تولوز يطلب منه تسليم المقاطعة إلى إليانور. رفض ريموند بالطبع التنازل، فقرر هنري إطلاق الهجوم عليها. اصطدم لويس بموقف هنري وسلوكه لكنه لم يرغب في أن يؤثر هذا الموقف على معاهدة السلام التي عقدها معه لذلك تدخل لويس لحل المسألة فاجتمع بهنري عدة مرات في فبراير في يونيو عام 1159م للتوصل إلى اتفاق لكن دون جدوى[2].

رأى لويس اتخاذ موقف الحياد في مسألة تولوز للحفاظ على علاقته بالملك هنري ومرت الشهور الأولى من عام 1159م والحرب على وشك الوقوع بين هنري وحاكم تولوز، حيث غادرت إليانور انجلترا متجهة إلى بواتييه التي كانت مقر التعبئة والإعداد للحرب وأصدر هنري أوامره في 22 مارس 1159م باستدعاء أتباعه في انجلترا كما أعلن أن من لا يريد الانضمام إليه والمشاركة في حملته على تولوز فعليه دفع ضريبة مالية بدلا من أداء الخدمة العسكرية.

وفي اليوم المحدد وبعد وصول كل أتباعه توجه هنري بجيشه من بواتييه متجها إلى تولوز، وفرض الحصار على المدينة لمدة شهرين ونصف صمد خلالهم أهلها وهاجموا قوات هنري للتخفيف من حدة خوفهم وقلقهم من الحصار. شعر هنري بالملل لطول الحصار فلم يعتد البقاء في مكان واحد مدة طويلة فرغم أنه كان يمارس أعماله الإدارية أثناء الحصار وأصدر الأوامر وحكم في الأمور القضائية لكنه شعر بالملل لذلك انتهز فرصة وجود الملك لويس أمام باب المدينة والذي قدم لحماية أخته وليس للحرب أو مساعدة الحاكم ريموند. لذلك قرر فك الحصار عن المدينة وأعلن أنه ليس من الاحترام والتوقير أن يهاجم مدينة يقطن بها سيده الأعلى ملك فرنسا[3].

لم يكن ما حدث هو السبب الحقيقي وإنما ما تكبده هنري من الأموال الباهظة والتي أنفقها على جنوده خلال فترة الحصار إلى جانب الوباء الذي انتشر بينهم.

وقد أثار قرار هنري هذا المستشار بيكيت مما أدى إلى نشوب الخلاف بينهما، فقد كان توماس يقود فرقة من قوات هنري وكان يأمل في تحقيق النصر عند نشوب المعركة لذلك اتهم بيكيت الملك بالحماقة لفك الحصار وأخبره بأنه إذا هاجم تولوز فسيتمكن من الاستيلاء عليها وبذلك يصبح ملك فرنسا أسيرا عنده. لكن هنري لم يتراجع عن قراره بل غادر وقواته تولوز في 26 سبتمبر من نفس العام، وترك خلفه مستشاره بيكيت الذي قام بمهاجمة عدة قلاع.

---

(1) Robert of Torigni, chronicle, P. 200. Kelly, Eleanor, P. 110, Meade E,eanor, P. 197. Alison, Eleanor, P. 150, Dismond, Eleanor, P. 99.

(2) Meade, Eleanor, P. 197. Kelly, Eleanor, P. 110. Alison, Eleanor, P. 150, Dismond, Eleanor, P. 99.

(3) Robert of Torigni, chronicle, PP. 202 – 203 .

رالف اوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكر، ج30، ص481، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص204.

Meade, Eleanor, PP. 189 – 99, Kelly, Eleanor, P. 110.
Owen, Eleanor, P. 47, Alison, Eleanor, PP. 150 – 151.
Dismond, Eleanor, P. 99.

ذكر المؤرخون أن الخلاف بين هنري وتوماس بدأ يتأجج منذ ذلك الوقت[1]. خلال الشهور التالية من عام 1159م توجه هنري مباشرة إلى نورمنديا وتجنب الذهاب إلى بواتييه حتى لا يدخل في مواجهة شديدة مع إليانور التي كان من السهل تخيل مشاعرها وغضبها بعد فشل حملة زوجها في الاستيلاء على تولوز وهو الذي كانت ظروفه تختلف عن لويس التي برزت هزيمته بعدم قدرته القتالية وعجزه أما هنري فكانت موارده المالية والبشرية ضخمة وكذلك قدراته العسكرية، لذلك كان من السهل عليه الاستيلاء على المدينة.

نظرت إليانور إلى هنري بعد فشل حملته على أنه رجل أحمق لا يتمتع بقدرات أبيها وجدها القتالية ورأت أنه رغم التخطيط والإعداد للحرب والأموال الطائلة التي أنفقها على الجيش فإنه تراجع عن الحرب نتيجة مقاومة بسيطة من أعدائه[2].

توترت العلاقة بين هنري وإليانور بعد فشل حملته على تولوز فرغم عدم وجود أي خلافات واضحة لكن بدت العلاقة بينهما فاترة وبحلول عام 1160م تناسى هنري حملته الفاشلة واستعد للعمل وصمم على عدم تلبية طلب إليانور بالعودة إلى انجلترا التي كان غائبا عنها لمدة عامين في الوقت الذي غابت فيه عنها عاما كاملا.

وفي التاسع والعشرين من ديسمبر 1159م، توجهت إليانور وأطفالها إلى ويست منستر West minester حيث قامت برحلات عديدة، وقامت بترتيب نقل العملات الحديثة إلى الخزانة العامة وسافرت إليانور ومعها هذه الشحنات الثمينة إلى بارفليور Barfileur وبعدها عادت إلى ساوثهمبتون Southampton.

تناست إليانور هزيمة زوجها في تولوز بانشغالها في إدارة المملكة حيث ذاعت أخبار نجاحها في مهمتها في جميع الأنحاء[3].

استدعى هنري إليانور للقدوم إليه في روين Rauen وذلك في سبتمبر عام 1160م على أن تصطحب معها ابنه هنري وزوجته وابنته ماتيلدة والتي فكر في تزويجها من ابن الملك لويس إذا أنجبت زوجته كونستانس ذكرا لأنها كانت على وشك الوضع وإذا فشل إبنه في الجلوس على عرش فرنسا فإن إبنته تقوم بنفس المهمة[4].

لكن كونستانس أنجبت أنثى في عام 1160م، وماتت بعدها[5].

لم يتقيد الملك لويس بالحداد على زوجته لكنه تزوج خلال أسبوعين من أدلا Adle إبنة الكونت ثيوبولد Theopald كونت بولس Theobald of Blois حتى يتسنى له إنجاب الوريث الذكر.

انشغل لويس في مشروع زواجه، لذلك انتهز الملك هنري الثاني الفرصة وقرر الاحتفال بزواج إبنه هنري إلى الأميرة مارجريت التي قدمت من نورمنديا إلى روين لإتمام مراسم

---

(1) Meade, Eleanor, P. 199. Kelly, Eleanor, P. 110.
Alison, Eleanor, P. 151.
(2) Meade, Eleanor, P. 200. Dismond, Eleanor, P. 100.
(3) Meade, Eleanor, PP. 201 – 202. Alison, Eleanor, P. 151.
(4) Eyton, Household Itinerary of king Henry, P. 51. Meade, Eleanor, P. 203. Alison, Eleanor, P. 152. Kelly, Eleanor, P. 110.
(5) رالف أوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د.سهيل زكار، ج30، ص482.
Meade, Eleanor, P. 203, Alison, Eleanor, P. 152.
Kelly, Eleanor, P. 110. Dismond, Eleanor, P. 100.

الزواج[1]، حيث خاف هنري أن يقوم ثيبوبولد بإقناع الملك لويس بترك تحالفه مع هنري وفسخ الخطبة رغم أن كلا من مارجريت وهنري كانا لا يزال أطفالا فكان هنري في الخامسة من عمره بينما كانت مارجريت في الثالثة، وزواج مثل هذا يعارضه رجال الدين لكن هنري تمكن من عقد الزواج وإقناع الكنيسة[2]، ولم يقدم هنري الدعوة إلى لويس لحضور مراسم زواج ابنته متذرعا بعدم رغبته في إزعاجه[3].

طلب هنري من ممثل الداوية[4] الذي كان مسئولا عن الأميرة الصغيرة أن يدفع مهرها بعد أن أكد له أنه نفذ شروط المعاهدة بينه وبين الملك لويس، لذلك قام ممثل الداوية بمنح هنري مقاطعة Vexin مهرا للعروس، وكانت هي محل النزاع بين الملكين، وقام بتحصينها قبل أن يعلم الملك لويس بهذه الأخبار وعندما وصلت إليه، ثار بشدة على هنري الثاني وطرد ممثل الداوية الخائن من باريس، وقام بتحصين قلعة شاومونت Chaumont[5] الواقعة على نهر اللوار في محاولة لتهديد أراضي هنري في تورين، وساعده على ذلك ثيوبولد كونت بلوا.

أسرع هنري مع رجاله وحاصر القلعة التي استسلمت بعد أيام، واحتجز بها خمسا وخمسين من فرسان ثيوبولد وأسرهم داخلها[6].

---

(1)Chronicle of Florence, P. 287. Roger of Hovedan, Annals, Vol.1, P. 258.
رالف أوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص482.
Meade, Eleanor, P. 204, Kelly, Eleanor, P. 111, P. Owen, Eleanor, P. 48.
Alison, Eleanor, P. 153.

(2) بعد وفاة البابا هادريان الرابع عام 1159م حدث إنشقاق ديني، فقد جرى انتخاب إثنين من البابوات مع أن البابا اسكندر كان هو البابا الحقيقي، حيث أيده ملك انجلترا وملك فرنسا، إلا أن إمبراطور ألمانيا وجميع رجال الدين الألمان أيدوا أوكتافيان، وبعث الإمبراطور إلى ملك انجلترا وملك فرنسا يطلب منهما أن يقدما مساندتهما إلى هذا البابا، لكنهما رفضا ذلك، وصمما على تأييد البابا اسكندر ولذلك عندما احتاج الملك هنري لمساعدة البابا في إتمام مراسم زواج إبنه، لم يدخر البابا اسكندر جهدا وسعى لمساعدته.
انظر: رالف أوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د.سهيل زكار، ج30، ص481. Chronicle of Florence, P. 287.

(3) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص205.
Meade, Eleanor, P. 204. Kelly, Eleanor, P. 111.

(4) الداوية: من أشهر جماعات الفرسان الدينية التي قامت في العصور الوسطى في بداية الحروب الصليبية، وهي التي أنشئت في عام 1119م/513هـ في مملكة بيت المقدس، وكان من أهدافها حماية الحجاج إلى قبر المسيح، وأفرد لهم ملك بيت المقدس جناحا في قصره ثم سلم إليهم المعبد المجاور له ومنه استقوا اسمهم "فرسان المعبد" ونمت هذه الجماعة واشتد ساعدها بمن انضم إليها من الفرسان النصارى من جميع الأمم. ولعبت أدوارا هامة في حوادث الحروب الصليبية واستمرت قائمة عصورا.
للمزيد عن فرسان الداوية انظر: إبراهيم خميس: جماعة الفرسان الداوية وعلاقتهم السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى حتى نهاية حكم صلاح الدين (1193-1118م/512-589هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب، الاسكندرية، 1980م، ص42-71.

(5) شاومونت Chaumont: مدينة فرنسية تقع على نهر اللوار على بعد أربعين كيلو متر إلى الشرق من مدينة تورز، ونالت شهرة عظيمة في القرن الخامس عشر الميلادي. انظر:
Moore, W.G., Encylopidia, P. 169.

(6) رالف أوف ديستو: ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، سهيل زكار، ج30، ص482، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص205.
Kelly, Eleanor, P. 111, Meade, Eleanor, 204.
Dismond, Eleanor, P. 100, Alison, Eleanor, P. 153.

شعرت إليانور بالغبطة لنجاح زوجها هنري الثاني في مواجهة لويس السابع وكانت لانتصاراته هذه أكبر الأثر في محو آثار هزيمته في تولوز من نفسها[1].

استغلت إليانور حماس هنري لإصلاح وتجديد القلاع وأقنعته بإصلاح وتشييد عدة مباني في أكوتين كما أقنعته بإعادة بناء مدينة بواتييه وقصرها بها[2]، وحشد هنري الثاني ولويس السابع قواتهما من جميع الجهات تمهيدا لصدام مسلح، وكان ذلك في الوقت الذي أنجبت فيه إليانور إبنتها التي اتخذت نفس إسمها وفي النهاية تصالح العدوان واجتمعا قرب فرتيفال Verteval للوصول إلى اتفاق بينهما لإنهاء الأزمة، حيث وافق لويس على امتلاك هنري لمنطقة فيسكيس[3] وبعد انتهاء هنري من حل مشكلته مع لويس فكر في شغل منصب رئيس أساقفة كانتربري الذي كان شاغرا منذ وفاة ثيوبولد عام 1161م فرأى اختيار بيكيت لتولي هذا المنصب وذلك لرغبته في استغلال مصادر وعائدات كنيسة كانتربري التي رأى أنها من حق التاج ورغبته في القضاء على أي معارضة من جانب الكنيسة عند فرضه أي ضرائب عليها والسيطرة على المحاكم الاكليريوسية، كما رأى هنري أن جمع بيكيت بين وظيفة لمستشار ورئيس الأساقفة أمر من شأنه حل جميع مشاكله وتحقيق كافة أغراضه خاصة وأن بيكيت خدم هنري بإخلاص شديد وكان وهنري بمثابة عقل واحد في إدارة المملكة[4]. علاوة على ذلك، كان هنري وإليانور يشعران بالقلق من عدم تولي أبنائه الحكم بعده فبرغم أن هنري ألزم باروناته الإنجليز بأداء يمين الولاء إلى إبنه الأكبر هنري، إلا أنه لم يكن هناك نظام خاص بوراثة العرش في انجلترا، لذا صمم هنري على استخدام الحل الذي كان شارلمان قد ابتكره من قبل عندما توج أبناءه أثناء حياته دون معارضة من أتباعه في ألمانيا، كذلك تم تطبيق هذا المبدأ في فرنسا حيث توج لويس السادس إبنه قبل وفاته. أما في انجلترا فإن تطبيق هذا المبدأ سوف يلاقي معارضة شديدة من الإنجليز الذين لم يعتادوا على ذلك.

ومع توقع هنري لإمكانية حدوث المعارضة فإنه وجد أن رئيس أساقفة كانتربري هو الشخص الذي يستطيع حل المشكلة والقضاء على أي معارضة، لذا فكر جديا في تولي بيكيت هذا المنصب حتى يضمن وقوفه بجانبه في إقرار مبدأ وراثة العرش لأبنائه من بعده[5].

بعد اختيار هنري لبيكيت لتولي منصب رئيس أساقفة كانتربري تم استدعاء جميع رجال الدين في منطقة كانتربري إلى لندن وبحضور الأمير هنري الشاب والقضاه تم انتخابه رئيسا للأسقفية في الثالث من يونيو 1162م وتم ترسيمه من قبل هنري أسقف وتشستر الذي كان آنذاك نائبا للبابا في لندن. بدأت الأسابيع الأولى من ترسيم بيكيت تظهر الدلائل على سوء فهم هنري الثاني وإليانور لشخصية بيكيت، فقد وصلت إليهما أثناء تواجدهما في نورمنديا طرد ورسالة منه، كان الطرد يحوي الختم الرسمي لانجلترا أما الرسالة فهي اعتذار من بيكيت عن منصب المستشار الذي كان يتولاه قبل توليه أسقفية كانتربري وذلك لعدم قدرته على القيام بأعباء منصبين في وقت واحد[6].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 204, Alison, Eleanor, P. 153.
(2) Robert of torigni, P. 209.
Meade, Eleanor, P. 206.
(3) رالف اوف ديستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص483.
Meade, Eleanor, P. 206, Owen, Eleanor, P. 50.
Kelly, Eleanor, P. 103, Alison, Eleanor, P. 155.
(4) Meade, Eleanor, P. 208. Alison, Eleanor, P. 155.
(5) Meade, Eleanor, P. 209.
(6) رالف اوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص484-485.

رفض هنري قبول اعتذار بيكيت وترجم استقالته على أنها صفعة على وجهه لأنه رأى أن استعجاله في ترك وظيفته يدل على أنه يخطط ليمارس سلطاته ضده وقد تأكدت ظنون هنري[1].

صراع الملك هنري مع توماس بيكيت وموقف إليانور منه :

بعد تولي بيكيت منصبه الجديد بدأ بإعادة تأكيد ادعاء كنيسة كانتربري في بعض الممتلكات التي كانت تشمل أراضي ومزارع وضيع إقطاعية أثناء عهد الملك ستيفن، لذلك أرسل بيكيت فرسانه لإعادتها متذرع بحصوله على تصريح وإذن من الملك هنري باسترداد أملاك الكنيسة.

عندما بدأ بيكيت في ادعاء أحقيته في قلاع بعض اللوردات استاء هنري من توالي شكاوى البارونات الذين احتجوا على مصادرة بيكيت لأراضيهم لذلك قرر هنري العودة إلى انجلترا لمناقشة بيكيت في تلك الشكاوى[2].

أما عن وضع إليانور بعد عودة زوجها إلى عاصمة ملكه فقد شعرت بأنه سلب منها سلطانها، مع أنه كان سعيدا بإدارتها لشئون وأمور المملكة خلال غيابه حيث سمح لها بممارسة سلطتها. لكن ذلك كان لظروف خاصة وأثناء غيابه عن المملكة أما في حالة تواجده فلم يقبل أي تدخل منها[3].

عاشت إليانور بعيدة عن السلطة طوال عام 1163م، ومع ذلك فقد راقبت باهتمام توتر العلاقة التي بدأت تظهر بين الملك وتوماس بيكيت وقد شاركت زوجها شعوره العدائي الذي بدأ يزيد من بيكيت الذي كان يعمل على إحراج الملك في كل مناسبة. وكانت إليانور شاهد عيان على زيادة غضب هنري واتهامه لبيكيت بالجحود وتهديده له بإذلاله ووضعه في حجمه الطبيعي. وكانت تفهم من البداية شخصيته وأنه ممثل شديد البراعة ومنافق يعمل لمصلحته الشخصية[4].

فقد كانت تلاحظ نفاقه في التحول الذي أصابه من شخص أنيق إلى متغال في الزهد، وكانت تحرص على حضور اجتماعاته مع زوجها الذي تغير تماما من ناحيته[5].

وفي الخامس والعشرين من يناير 1163 "قدم توماس لمقابلة الملك وعانقه لكن دون مشاعر طيبة مشيحا بوجهه بعيدا"[6] لذلك بدأ رجال الحاشية في تحريض الملك هنري ضد بيكيت أما إليانور فلم تفعل مثلهم وانتظرت ثمان سنوات، حتى تظهر حقيقة هذا الرجل أمام زوجها. وفي يوليو عام 1163م عقد هنري مجلسا لبارونات في وودستوك Wood stok[7] وبرغم أن السجلات لم تذكر حضور إليانور لكن من المحتمل أن تكون قد رافقت هنري هي وأطفالها للإقامة في القصر

Meade, Eleanor, P. 212, Alison, Eleanor, P. 156.
Kelly, Eleanor, P. 16.

(1) Eyton, Household Itinerary of king Henry, P. 174.
(2) Meade, Eleanor, P. 213.
(3) Richardson, Letters and charters, P. 197.
(4) Meade, Eleanor, P. 214.
(5) رالف اوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص487، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص210.
(6) Meade, Eleanor, P. 213.
(7) وودستوك: مدينة إنجليزية صغيرة تقع في اكسفورد شير Oxford وتتميز بوجود الغابات، وحملت أسماء عديدة في العصور الوسطى منها ويدستوك Wudustoc ودستوك Wdestoc ورد هذا الاسم إلى ودستوك Woodstoci على يد يسمون أف درهام Symeon of Durham عن طريق سلفريوم لوكس Silvarum locus انظر: Moore, op. cit, P. 865.

الفخم الذي أقامه وسط الغابة حيث اقترح هنري أثناء الاجتماع أن يتم حرمان مدراء الشرطة من مكافآتهم التي يحصلون عليها مقابل أداء واجباتهم الإدارية والتي يتم تحصيلها من الكنيسة وتحويل تلك المكافأة لصالح الخزانة الملكية فاعترض بيكيت بشدة على اقتراح الملك ورفض حرمان مدراء الشرطة من مصدر دخل مهم لهم[1].

استشاط هنري غضبا بعد رفض بيكيت لكنه ظل محتفظا بهدوئه الذي سبق العاصفة، وقرر الانتقام من بيكيت[2] واستغل فرصة الجرائم التي ارتكبها بعض رجال الدين والذين تمت محاكمتهم أمام محاكم دينية، وكانت عقوبتهم لا تتعدى حرمانهم من ممارسة وظائفهم الكهنوتية لفترة معينة مما جعل هنري يفكر في ضرورة محاكمتهم أما محاكم مدنية حتى يتم تحقيق العدالة وإنزال عقوبات صارمة عليهم بدلا من العقوبات الخفيفة.

قرر هنري أن يتم تحويل رجال الدين المذنبين إلى الأسقف على أن يجردهم من سلطاتهم وبحضور واحد من قضاة الملك وعلى أن يتم تسليمهم إلى رجال الملك لتوقيع العقوبة[3].

وفي بداية أكتوبر من نفس العام دعا الملك لعقد اجتماع في ويست منستر لتصفية النزاع القائم بين رؤساء أساقفة كانتربري ويورك حول الامتيازات الخاصة بكل منهم، وأعلن هنري في بداية الاجتماع عن رغبته في محاكمة رجال الدين المذنبين أمام محاكم مدنية تابعة للملك حتى يتم إنزال عقوبات صارمة ضدهم[4]، ووجه الملك حديثه في الاجتماع إلى بيكيت قائلا "سيدي إني أطلب موافقتك أنت وزملائك الأساقفة على أن يتم حرمان رجال الدين الذين يقترفون الجرائم وأقروا بها من رحمة الكنيسة وتسليمهم إلى محكمتي لتطبيق العقاب البدني عليهم"[5].

اندهش بيكيت من طلب الملك وانسحب مع زملائه الأساقفة للتشاور في الأمر مع اعتراف بعض الأساقفة بأن رجال الدين المذنبين يجب أن يعاقبوا بشدة وقسوة أكثر من المذنبين المدنيين إلا أن توماس رأى أن ذلك العقاب المضاعف القاسي يتعارض مع القانون الكنسي مبررا ذلك بأن الله لا يعاقب الشخص مرتين على نفس الذنب، في النهاية رفض بيكيت اقتراح الملك الذي رأى فيه تعديا على حرية الكنيسة مما جعل الملك يستشيط غضبا ويتجه خارج القاعة دون انتظار بركة الأساقفة، وفي صباح اليوم التالي أرسل الملك إلى بيكيت يطرده من قصره في إقطاعية بيرخامستيد Perkhampstead التي كان قد حصل عليها بعد توليه منصب مستشار الملك كما استعاد إبنه الأمير هنري الذي وضعه من قبل تحت رعايته[6].

أدى تفاقم النزاع بين الملك وبيكيت إلى تدخل البابا الكسندر الثالث Alexander III (1159-1181م) الذي أرسل رسلا إلى بيكيت ينصحونه بالإذعان للملك وإطاعة قوانين المملكة،

---

(1) Meade, Eleanor, P. 215. Owen, Eleanor, P. 51. Alison, Eleanor, P. 159.
(2) Meade, Eleanor, P. 215.
(3) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل ذكار، ج30، ص489.
Alison, Eleanor, P. 159. Meade, Eleanor, 216.
Dismond, Eleanor, PP. 101 – 102.
(4) Meade, Eleanor, P. 217, Kelly, Eleanor, P. 117.
(5) رالف اوف دستور: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص489.
Meade, Eleanor, P. 217. Kelly, Eleanor, P. 117,
Alison, Eleanor, P. 159.
(6) Meade, Eleanor, P. 219. Kelly, Eleanor, P. 117.
Alison, Eleanor, P. 159, FFiona, Eleanor, P. 44.

وكان البابا يحتاج إلى مساعدة ودعم الملك هنري في معركته ضد ادعاءات البابا المزيف، لكن رأى أن الاقتراح الذي قدمه هنري يتعارض مع تعليمات الكنيسة.

نتيجة لتدخل البابا الكسندر أعلن بيكيت في ديسمبر عام 1163م استعداده للخضوع والاستسلام للملك الذي أصر أن يقوم بيكيت بذلك في مجمع عام يحضره الأساقفة والبارونات حتى يستطيع الملك استرداد كرامته واعتباره الذي تزعزع بعد تحدي بيكيت له[1]. لذلك احتشد الأساقفة والبارونات والايرلات في الخامس والعشرين من يناير سنة 1164م في كليرندون Clarendon بينما لم تكن إليانور من بين الحضور رغم تواجدها مع زوجها في نفس المدينة ورغم أنها كانت تريد أن ترى بيكيت وهو في حالة من الذل والهوان.

طالب الملك بيكيت في هذا الاجتماع بأداء يمين الولاء والتبعية والقسم على احترام عادات المملكة والموافقة على الاقتراح الذي قدمه، لكن بيكيت رفض أداء القسم[2]، فثار هنري وأقسم على استخدام السيف ضده إذا أصر على عدم احترام قوانين المملكة[3]، واستدعى الملك هنري توماس بيكيت وذلك في اجتماع آخر بقلعة نورث هامبتون Morthampton[4] وأمره بإعادة جميع الأموال التي كان قد ائتمنه عليها عندما كان يعمل مستشارا لديه وعائدات السنوات السبع لضيعة بيرخامستيد والتي كان بيكيت مشرفا عليها بالإضافة إلى خمسمائة قطعة ذهبية كان هنري قد أعارها له أثناء حملته على تولوز.

وجد بيكيت نفسه في موقف صعب، فهو متهم بعدد من التهم والإهانات ومحروم من تأييد الأساقفة الذين رأوا أن الملك على حق في طلب استعادة أمواله من بيكيت، لذلك قام بيكيت برفع الصليب الذي كان يحمله وغادر قاعة المحكمة وفي الليلة التالية غادر المدينة بشكل سري وأخفى نفسه عن عيون الناس وارتحل أثناء الليل وبعد سفر عدة أيام وصل إلى ميناء سندوتش Sanddwich وفي 2 نوفمبر من نفس العام تمكن من العبور في قارب صغير إلى إقليم الفلاندرز[5].

ثار هنري وغضب بعد علمه بهروب بيكيت وأسرع بإرسال رسول من قبله يحمل رسالة إلى الملك لويس يطلب منه فيها طرد بيكيت من فرنسا أو الفلاندرز وعدم تقديم أي مساعدة له وهدده بأنه إذا قدم لويس المساعدة له فإن هنري سيتحد ضده مع أعدائه[6].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 219 – 221, Kelly, Eleanor, P. 118.
Alison, Eleanor, P. 160 – 161.

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص213.
Meade, Eleanor, P. 221, Kelly, Eleanor, P. 118.

(3) Meade, Eleanor, P. 221, Kelly, Eleanor, P. P. 118.
Alison, Eleanor, P. 161.

(4) نورث هامبتون: مقاطعة إنجليزية، وأهم مدنها نورث هامبتون شير. تقع على نهر نيني Nene إلى الشرق وجنوب شرق مدين برمنجهام Birmingham.
Moore, op. cit, P. 566.

(5) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص220، رالف اوف ديسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص490.
Meade, Eleanor, P. 225 -6, Dismond, Eleanor, P. 102.
Kelly, Eleanor, PP. 120 – 122, Alison, Eleanor, P. 161.

(6) English Hitorical Documents Edited by David G. Douglas and George Gremanaway. Vol, 2, London: Eyre and spottis woode, 1953, P. 734.
Kelly, Eleanor, P. 124, Alison, Eleanor, P. 163.

أما عن موقف إليانور فقد رأت أن الملك لويس سيكون غبيا إذا لم ينتهز فرصة تواجد بيكيت عنده ومساعدته ضد هنري الثاني وفعلا رفض لويس الاستجابة لطلب هنري لطرد بيكيت وأخبر الرسول أن البابا الكساندر أرسل إلى لويس يطلب منه مساعدة بيكيت وعدم توجيه أي تهمة ضده.

بعد رفض لويس تسليم بيكيت زاد غضب هنري وثورته وقرر الانتقام من كل أقارب رئيس الأساقفة فقام بطردهم خارج انجلترا بعد تجريدهم من أملاكهم ووضعهم في مراكب وشحنهم إلى الفلاندرز[1].

نظرت إليانور إلى خلاف الملك مع بيكيت على أنه مشكلة مهمة لأن هدف الملك الأساسي هو توسيع رقعة ممتلكاته وتكوين إمبراطورية لورثته خاصة وأن إليانور كانت في حالة حمل جديد، فكان عليهما أن يعملا على تثبيت حقوق أولادهما لذلك قرر تعيين رئيس أساقفة جديد ليقوم بتتويج إبنه الأكبر هنري وليا لعهده[2].

بدأ يظهر في الأفق تغير جديد في السياسة الإنجليزية عندما قرر هنري التفاوض في نورمنديا مع الوفد الذي بعث به الإمبراطور الألماني فردريك باباروسا Frederick Barbarossa لخطبة إبنته ماتيلدة إلى ابن عم الإمبراطور هنري الأسد دوق سكسونيا وبافاريا[3].

شعر البابا الكساندر بالقلق بعد علمه بموافقة هنري على مشروع الزواج وذلك خوفا من قيام تحالف بين انجلترا وألمانيا خاصة وأن الإمبراطور فردريك كان يدعم ويؤيد منافس البابا الكسندر الثالث Alexander III المدعو باسكال الثالث (1164-1168م) للوصول إلى الكرسي البابوي.

سعدت إليانور بمشروع زواج إبنتها حيث قدم إليهم في ويست منستر رينالد Reland رئيس أساقفة كولونيا لاصطحاب الأميرة ماتيلدة إلى ألمانيا[4].

لم تشعر إليانور بالقلق على هذا الزواج رغم أن إبنتها كانت في الثامنة من عمرها وخطيبها في الثامنة والثلاثين، فرأت أن فارق السن لا يمنع من إتمام الزواج خاصة وأن هنري كان أشهر أتباع الإمبراطور بربروسا كما أنه كان من نوعية الرجال الذين تحترمهم إليانور فكان قويا وثريا وراعيا للفنون ومشهورا في كافة أنحاء أوروبا بشجاعته وثقافته لذلك اعتبرته إليانور زوجا كفؤا لابنتها[5].

بعد رحيل هنري ظلت إليانور في وينشستر حيث قضت فصل الربيع في القيام بعدة رحلات مع أطفالها[6].

---

(1) Meade, Eleanor, P. 226 - 227 – 228.
Kelly, Eleanor, P. 126. Alison, Eleanor, P. 163.
(2) Meade, Eleanor, P. 228, Kelly, Eleanor, P. 126.
(3) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص226، رالف اوف دسيو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل ذكار، ج3، ص491.
Meade, Eleanor, P. 229, Kelly, Eleanor, P. 128.
(4) Meade, Eleanor, P. 229, Kelly, Eleanor, P. 129.
Alison, Eleanor, PP. 163 – 170.
(5) Meade, Eleanor, P. 229, Kelly, Eleanor, P. 129.
Alison, Eleanor, PP. 163 – 170.
(6) Eyton, Household, P. 85. Meade, Eleanor, P. 229.

أصبحت إليانور متلهفة على السلطة وتحمل المسئولية بعد ابتعادها عنها لمدة خمس سنوات وقد واتتها الفرصة في ذلك العام حيث قرر هنري القيام بحملة أخرى ضد دوقية ويلز Wales وأهلها الذين كانوا يعملون على طرد الإنجليز منها لذلك رأى هنري تفادي أخطاء الحملة السابقة التي قام بها عام 1157م، حيث خطط للقيام بحملة تتكون من جنود المشاة بدلا من الفرسان أصحاب الدروع الثقيلة لذلك قرر تعيين إليانور نائبا عنه في أنجوومين لأنه كان مشغولا للاستعداد للحرب.

توجهت إليانور إلى هنري في نورمنديا وبعدها عاد هنري إلى انجلترا بينما اتجهت إليانور جنوبا إلى أنجري Angers حيث حاول بعض أنصار بيكيت التقرب منها والتماس تقديم مساعدتها له، والعجيب أن يتصور بيكيت أن إليانور سوف تتعاطف معه، وهي التي كانت تكرهه من البداية لكنها كانت تخفي مشاعرها، لذلك كان عليه أن يفهم أنها لن تقدم له أية مساعدة[1].

وقد كتب أسقف بواتييه إلى بيكيت يخبره بعدم استجابة إليانور له ولأتباعه لوقوعها تحت تأثير رالف دي فاي Ralph de Fay أحد أعداء بيكيت، ذكر الأسقف في الرسالة وجود علاقة غير شرعية بين إليانور وعمها رالف دي فاي ورغم أنه لم يوضح طبيعة العلاقة إلا أن ما ذكره الأسقف كانت الفضيحة الأولى الخاصة بإليانور منذ أن أصبحت ملكة على انجلترا. كما كانت بمثابة رسالة تذكير بماضيها فأشاعت وأعادت قصة العلاقة المحرمة التي كانت بينها وبين عمها ريموند دي بواتييه.

ومهما كانت الاتهامات الكثيرة عن علاقة إليانور المحرمة بعمها والإشاعات التي طاردتها كثيرا فلم يكترث الناس ويصدقوا ما كتبه الأسقف خاصة وأن إليانور اعتادت معاملة أقاربها بمودة مفرطة[2].

وفي أغسطس عام 1165م أنجب لويس السابع ملك فرنسا الوريث الذكر بعد انتظار دام أكثر من عشرين عاما فقد أنجبت أديلا طفلا أطلق عليه اسم فيليب وهو ما أدى إلى رد فعل سئ عند حكام انجلترا من آل البلانتاجنت فشل هنري الثاني في حملته على ويلز، فكثرت المعارضة ضده[3]. كما واجهت إليانور وهي في أنجرس تمرد بارونات مين وبريتاني حتى أنهم شكلوا اتحادا بينهم لمقاومة سلطة الملك هنري[4]. ولم تقتصر حركت التمرد ضد هنري على هؤلاء بل قامت حركات تمرد في أكوتين فقد قاومه الأتباع الساخطين هناك.

ذكر جيرفاس كانتربري أن البوتفيين رفضوا تقديم ولاءهم للملك الإنجليزي بسبب حده لحرياتهم كما أن بعض نبلاءهم استغاثوا بالبابا وطلبوا منه إبطال زواج إليانور من هنري على أساس وجود قرابة رحم بينهم ووضعوا أمام المندوب البابوي الدليل الذي يؤكد حرمة زواجهما.

علمت إليانور بأخبار هذه المؤامرة وبقيام كونت انجوليوم Angouleme بتشكيل اتحاد للانفصال عن هنري وتقديم ولائه إلى لويس كابيه[5].

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 229 – 230, Owen, Eleanor, P. 54.
Kelly, Eleanor, P. 129. Alison, Eleanor, P. 164.
(2) Meade, Eleanor, P. 230, Kelly, Eleanor, P. 129.
Owen, Eleanor, P. 54, Alison, Eleanor, P. 164.
(3) Gerald of Wales, The Autobiography of Giroldus combrensis. P. 290.
رالف اوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص490.
(4) Meade, Eleanor, P. 231, Alison, Eleanor, PP. 165 – 167.
(5) Meade, Eleanor, P. 232.

وخلال هذه الفترة أنجبت إليانور إبنة أطلقت عليها اسم جوانا Jounna في أكتوبر من عام 1165م[1] لكنها لم تشعر بأي سعادة بسبب حركات التمرد التي اندلعت ضد زوجها، الذي انتظرت عودته بقلق كبير فرغم أن حملته ضد ويلز انتهت في أواخر أغسطس عام 1165م، إلا أنه لم يتعجل مغادرة انجلترا حتى لرؤية المولودة ولا للاحتفال بعيد الميلاد فقد كانت هناك حكايات تدور حول عشيقة جديدة لزوجها، حيث وصلت أخبار علاقته بها إلى أنجري خلال فترة غيابه[2]، لكن إليانور تجاهلت كل ذلك الحكايات والشكوك وحاولت إثبات أنها ما زالت في سن الشباب وأن زوجها مقبل عليها وحتى تؤكد ذلك قررت إنجاب طفل آخر حتى تحافظ على زوجها.

قدم هنري إلى إنجري بعد قضائه على تمرد بارونات مين Main حيث قضى عيد الفصح لعام 1166م مع إليانور ثم اتجه الإثنان إلى لي مانس[3] Lemans وكان هنري يعمل على جذب سكان الجنوب خاصة أكوتين، حيث عامل ثوارها بهدوء وطمأنهم بأنه سيقضي عيد الميلاد في بواتييه مع إليانور لكن فجأة لم يصطحبها معه إلى هناك بل كان معه إبنه الأمير هنري، حتى يتعرف على أهل هذه المنطقة كسيد أعلى مستقبلا[4].

سافرت إليانور إلى أكسفورد Oxford في ديسمبر سنة 1166م حيث أنجبت إليانور إبنا أطلقت عليه اسم حنا Jhon[5] وقضت إليانور عيد الميلاد هناك وكانت مشاعرها مليئة بالغضب والكراهية لزوجها بعد اكتشافها علاقته بعشيقته وصممت على العودة إلى أكوتين بصورة دائمة[6].

يتضح لنا مما سبق النتائج التي ترتبت على زواج إليانور من الدوق هنري دوق نورمنديا والذي كان تابعا إقطاعيا للملك لويس السابع مما أدى إلى حدوث صراع شديد بين لويس السابع ملك فرنسا وهنري بلانتجنت دوق نورمنديا خاصة بعد انتقال ممتلكات وأراضي إليانور إلى الدوق هنري الثاني الذي تولى عرش انجلترا بعد وفاة الملك ستيفن كما ظهر لنا الدور الذي لعبته إليانور في تولي شئون مملكة انجلترا أثناء غياب زوجها خارج المملكة، ونجاحها في ذلك كما تعرفنا على علاقة الملك هنري بتوماس بيكيت رئيس أساقفة كانتربري وحب الملك الشديد له مما نتج عنه شعور إليانور بالغيرة الشديدة تجاه توماس بيكيت وجعلها تتخذ موقف المتفرج أثناء صراعه مع الملك هنري والذي انتهى بمقتله.

---

(1) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص490.
Meade, Eleanor, P. 232. Alison, Eleanor, P. 167.

(2) Meade, Eleanor, PP. 232 – 233. Kelly, Eleanor, P. 168.

(3) لي مانس: مدينة فرنسية، تقع على نهر سارث عند التقائه بنهر هويسن Huisne وهي مدينة تجارية تتحكم في حركة المواصلات، فيها القبر الذي يحمل رفات الملكة برنجاريا Berengaria زوجة الملك ريتشارد قلب الأسد وفيها ولد الملك هنري الثاني ملك إنجلترا. انظر:
Moore, W.G., op.cit., P. 493.

(4) Meade, Eleanor, PP. 232 – 233.
Kelly, Eleanor, P. 153. Alison, Eleanor, P. 168.

(5) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص492.

(6) Meade, Eleanor, P. 233.
Kelly, Eleanor. P. 153. Alison, Eleanor, P. 169.